كلمات في مناسبات

إعداد
عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

اعتنى بها وعلق عليها
أبو عبد العزيز منير الجزائري

دار الفرقان
للنشر والتوزيع

كَلِمَاتٌ

فِي مُنَاسَبَات

الطبعة الأولى

١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

دار الفرقان للنشر والتوزيع

20 شارع أحمد حسينة - باب الواحي - الجزائر (العاصمة)

00213 (0) 556 96 58 10

dar.alfurquan@gmail.com

كلمات

في مناسبات

إعداد

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

اعتنى بها وعلق عليها

أبو عبد العزيز منير الجزائري

دار الفرقان
للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحَمْدُ لله مُنْشِئِ الأَيَّامِ وَالشُّهُور، وَمُفْنِي الأَعْوَامِ وَالدُّهُور، وُمُيَسِّرِ المَيْسُور وَمُقَدِّرِ المَقْدُور، يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُور.

وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا الله الغَفُورُ الشَّكُور، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَفْضَلُ آمِرٍ وَأَجَلُّ مَأْمُور، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَضَاعِفِ اللَّهُمَّ لَهُمُ الأُجُور.

أَمَّا بَعْدُ:

فهذه كلمات نافعة، جمعت نصائح متنوِّعة وتوجيهات مفيدة، وإرشادات سديدة.

«هي بُغْية الرَّاغبين، ونُزْهة المستفيدين، وبَهْجَةُ النَّاظرين، لِمَا ظَهَرَت به مِنْ مظهرٍ أنيق، وتحلَّت به من زهور المَعَارف والتَّحقِيق، ولِمَا أَوْدَعَته مِنْ فوائد جَلِيلة، سهل اجتناؤها، وثَمَرَات

دَانِية طَابَ مَذَاقُهَا، وَمَنَاهِلَ عَذْبَة، رَاقَ مَشْرَبُهَا حَيْثُ اشْتَمَلَتْ عَلَىٰ بَيَانِ العَقَائِدِ النَّافِعَة، وَالأُصُولِ الجَامِعَة، وَالأَحْكَامِ المُتَنَوِّعَة، وَالآدَابِ السَّامِيَة، وَغَيْرِهَا مِنَ المَوَاضِيع المُهِمَّة، وَالعُلُومِ الجَمَّة، الَّتِي تَكْسِبُ الإِنْسَان هُدًىٰ وَرُشْدًا، وَتَزِيدُهُ بَصِيرَةً وَيَقِينًا»[١].

إِخْوَانِي فِي الله..أَخَوَاتِي فِي الله..

أصل هذه الكلمات: رسائل صغيرة لشيخنا عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظه الله سبق وأن طُبعت في بعض المناسبات، ثم تقرر جمعها في رسالة واحدة ليسهل الرجوع إليها والانتفاع بها خاصة في الخطب وإلقاء الكلمات، والله الموفق.

وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

مُحِبُّكُم فِي الله

أبو عبد العزيز منير الجزائري

abou-abdelaziz@hotmail.fr

واتساب: 00213555903095

(١) «بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار» (ص٤٦٢).

وصايا للشباب

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحَمْدُ للهِ الَّذِي خَلَقَ الإِنْسَانَ أَطْوَارًا وَفَضَّلَهُ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خلَقَ تَفْضِيلاً، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَه؛ أعَدَّ الجَنَّةَ لِعِبَادِهِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَا يَبْغُونَ عَنْها تَحْوِيلاً وَلَا يَرْضَوْنَ بِسِوَاهَا بَدِيلاً، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وَصَفْوَتُهُ مِنْ خَلْقِهِ وخَلِيلُهُ، اصْطَفَاهُ رَبُّهُ فَأَقَامَ بِهِ المِلَّةَ وَكَمَّلَ بِهِ الأَخْلَاقَ تَكْمِيلاً، صَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ تَسَامَوْا إِلَىٰ العُلَا شَبَابًا وَكُهُولاً، وَصَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ ومِنْهم مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً. أَمَّا بَعْدُ:

فَلَا يَخْفَىٰ أَنَّ مَرْحَلَةَ الشَّبَابِ مَرْحَلَةٌ مُهِمَّةٌ جِدًّا فِي حَيَاةِ الإِنْسَانِ؛ لِأَنَّهَا مَرْحَلَةُ القُوَّةِ وَالنَّشَاط، وَسُهُولَةِ الحَرَكَةِ، وَقُوَّةِ الأَعْضَاءِ، وَسَلَامَةِ الحَوَاس، بَيْنَمَا إِذَا كَبُرَ الإِنْسَانُ تَضْعُفُ مِنْهُ حَوَاسُهُ وَقِوَاهُ.

وَقَدْ أَوْلَىٰ الإِسْلَامُ هَذِهِ المَرْحَلَةَ اهْتِمَامًا خَاصًّا، وَرِعَايَةً

عَظِيمَةً، وَجَاءَتْ النُّصُوصُ مُؤَكِّدَةً عَلَىٰ عِظَمِ شَأْنِ هَذِهِ المَرْحَلَةِ وَأَهَمِّيَّتِهَا، فَقَدْ حَثَّ نَبِيُّنَا ﷺ عَلَىٰ المُبَادَرَةِ عَلَىٰ اغْتِنَامِهَا، وَالحَذَرِ مِنْ إِضَاعَتِهَا.

فَعَنْ عَبْدِ الله بنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِرَجُلٍ وَهُوَ يَعِظُهُ: «**اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ**»(١).

فَمَرْحَلَةُ الشَّبَابِ دَاخِلَةٌ فِي عُمُومِ قَوْلِهِ ﷺ: «**وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ**»؛ لَكِنَّهُ ﷺ خَصَّ هَذِهِ المَرْحَلَةَ بِالذِّكْرِ لِعِظَمِ أَهَمِّيَّتِهَا وَكَبِيرِ شَأْنِهَا، فَيَنْبَغِي التَّيَقُّظِ لِذَلِكَ وَعَدَمِ التَّهَاوُنِ بِهَا.

وَعَنِ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لاَ تَزُولُ قَدَمَا ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ حَتَّىٰ يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ: عَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلاَهُ، وَمَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ، وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَمَاذَا عَمِلَ فِيمَا عَلِمَ**»(٢).

---

(١) أَخْرَجَهُ الحَاكِمُ فِي «المُسْتَدْرَك» (٧٨٤٦)، وَصَحَّحَهُ وَوَافَقَهُ الذَّهَبِي، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِي فِي «صَحِيح الجَامِع» (١٠٧٧).

(٢) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِي (٢٤١٦)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِي فِي «السِّلْسِلَة الصَّحِيحَة» (٩٤٦).

فَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ المَرْءَ يُسْأَلُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَنْ حَيَاتِهِ بِسُؤَالَيْنِ:

الأَوَّلُ: عَنْ حَيَاتِهِ عُمُومًا، مِنْ أَوَّلِهَا إِلَىٰ آخِرِهَا.

الثَّانِي: عَنْ مَرْحَلَةِ الشَّبَابِ خُصُوصًا، مَعَ أَنَّهُ إِذَا سُئِلَ عَنْ حَيَاتِهِ فَإِنَّ مَرْحَلَةَ الشَّبَابِ دَاخِلَةٌ فِيهَا؛ لَكِنَّهُ يُسْأَلُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَنْهَا سُؤَالًا خَاصًّا.

وَلِهَذَا يَنْبَغِي عَلَىٰ الشَّابِ أَنْ يَنْتَبِهَ لِأَهَمِّيَّةِ هَذِهِ المَرْحَلَة، وَيَتَذَكَّرُ دَائِمًا أَنَّ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ سَيَسْأَلُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ مَاذَا عَمِلَ فِيهَا، إِضَافَةً إِلَىٰ السُّؤَالِ عَنْ عَمَلِهِ فِي عُمْرِهِ كُلِّهِ المُتَضَمِّنِ لِمَرْحَلَةِ الشَّبَابِ؛ لِأَنَّهَا مَرْحَلَةُ القُوَّةِ وَالنَّشَاطِ، وَيُسْرِ الحَرَكَةِ، وَقُوَّةِ الأَعْضَاءِ وَاكْتِمَالِ الحَوَاس.

وَلِهَذَا حَثَّ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الشَّبَابَ -كَمَا فِي الحَدِيثِ السَّابِقِ- عَلَىٰ اغْتِنَامِ هَذِهِ المَرْحَلَةِ، اغْتِنَامًا عَظِيمًا.

وَأَوْصَىٰ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَيْضًا أَهْلَ العِلْمِ وَالمُعْتَنِينَ بِالتَّرْبِيَةِ وَالدَّعْوَةِ وَالتَّعْلِيمِ بِالشَّبَابِ؛ لِأَنَّ الشَّابَ يَحْتَاجُ إِلَىٰ عِنَايَةٍ وَمُلَاطَفَةٍ، وَرِفْقٍ وَتَوَدُّدٍ، وَتَحْبِيبٍ لَهُ فِي الخَيْرِ وَأَهْلِهِ، حَتَّىٰ لَا يَتَخَطَّفَهُ أَهْلُ البَاطِلِ وَأَرْبَابُ المُحَرَّمَاتِ.

وَلِهَذَا حَرِصَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عَلَىٰ تَحْقِيقِ هَذِهِ المَعَانِي الجَلِيلَة كَمَا جَاءَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ كَانَ إِذَا رَأَىٰ الشَّبَابَ قَالَ: «مَرْحَبًا بِوَصِيَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ أَوْصَانَا رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ نُوَسِّعَ لَكُمْ فِي الْمَجْلِسِ، وَأَنْ نُفَهِّمَكُمُ الْحَدِيثَ فَإِنَّكُمْ خُلُوفُنَا، وَأَهْلُ الْحَدِيثِ بَعْدَنَا»، وَكَانَ يُقْبِلُ عَلَىٰ الشَّابِّ فَيَقُولُ لَهُ: «يَا ابْنَ أَخِي؛ إِذَا شَكَكْتَ فِي شَيْءٍ فَسَلْنِي حَتَّىٰ تَسْتَيْقِنَ، فَإِنَّكَ إِنْ تَنْصَرِفْ عَلَىٰ الْيَقِينِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ تَنْصَرِفَ عَلَىٰ الشَّكِّ»[١].

وَكَانَ عَبْدُ الله بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِذَا رَأَىٰ الشَّبَابَ يَطْلُبُونَ العِلْمَ قَالَ: «مَرْحَبًا بِيَنَابِيعِ الحِكْمَةِ وَمَصَابِيحِ الظُّلَمِ، خُلْقَانِ الثِّيَابِ، جُدُدِ القُلُوبِ، حُبُسِ البُيُوتِ، رَيْحَانِ كُلِّ قَبِيلَةٍ»[٢].

وَوَصَايَا السَّلَفِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ لِلْشَّبَابِ وَعِنَايَتِهِمْ بِهَذِهِ المَرْحَلَةِ كَثِيرَةٌ جِدًّا[٣]؛ وَهَذِهِ وَصَايَا أَنْصَحُكَ بِهَا نَصِيحَةَ مُحِبٍّ مُشْفِقٍ؛ إِنْ أَخَذْتَ بِهَا كَانَتْ مُوجِبَةً لِنَجَاتِكَ وَسَبَبًا لِفَلَاحِكَ وَسَعَادَتِكَ فِي

(١) أَخْرَجَهُ البَيْهَقِيُّ فِي كِتَابِهِ «شُعَب الإِيمَان» (١٦١٠).

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ عَبْدِ البَرِّ فِي «جَامِع بَيَان العِلْم وَفَضْله» (٢٥٦).

(٣) «مِنْ وَصَايَا السَّلَف لِلْشَّبَاب» (ص١-٥) لِشَيْخِنَا عَبْد الرَّزَّاق بَنْ عَبْد المُحْسِن البَدْر حَفِظَه الله.

دُنْيَاكَ وَأُخْرَاكَ:

◄ عَلَيْكَ -أَيُّهَا الشَّابُ- أَنْ تَعْمَلَ عَلَىٰ صِيَانَةِ شَبَابِكَ وَحِفْظِهِ بِأَنْ تَتَجَنَّبَ الشُّرُورَ وَالفَسَادَ بِأَنْوَاعِهِ مُسْتَعِينًا فِي ذَلِكَ بِالله مُتَوَكِّلًا عَلَيْهِ وَحْدَهُ جَلَّ فِي عُلَاه، وَكُلَّ بَابٍ أَوْ مُدْخَلٍ أَوْ طَرِيقٍ يُفْضِي بِكَ إِلَىٰ شَرٍّ أَوْ فَسَادٍ فَاجْتَنِبْهُ وَاحْذَرْهُ غَايَةَ الحَذَرِ(١).

◄ وَعَلَيْكَ -أَيُّهَا الشَّابُ- أَنْ تَكُونَ مُحَافِظًا تَمَامَ المُحَافَظَةِ عَلَىٰ فَرَائِضِ الإِسْلَامِ وَوَاجِبَاتِ الدِّينِ وَلَاسِيَمَا الصَّلَاة، فَإِنَّ الصَّلَاة عِصْمَةٌ لَكَ مِنَ الشَّرِّ وَأَمَنَةٌ لَكَ مِنَ البَاطِلِ، فَإِنَّ الصَّلَاةَ

(١) وَمِنْ أَعْظَمِ الأَبْوَابِ الَّتِي يَدْخُلُ مِنْهَا الشَّيْطَانُ عَلَى العَبْدِ لِيُوقِعَهُ فِي الشُّرُورِ وَالفَسَادِ: فُضُول الكَلَام وَالنَّظَر، قَالَ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ اللهُ: «وَأَكْثَرُ المَعَاصِي إِنَّمَا تَوَلُّدُهَا مِنْ فُضُولِ الكَلَامِ وَالنَّظَر وَهُمَا أَوْسَعُ مَدَاخِلِ الشَّيْطَانِ؛ فَإِنَّ جَارِحَتَيْهِمَا لَا يَمَلَّانِ وَلَا يَسْأَمَانِ بِخِلَافِ شَهْوَةِ البَطْنِ فَإِنَّهُ إِذَا امْتَلَأَ لَمْ يَبْقَ فِيهِ إِرَادَةٌ لِلْطَّعَامِ وَأَمَّا العَيْنُ وَاللِّسَانُ فَلَوْ تُرِكَا لَمْ يَفْتُرَا مِنَ النَّظَرِ وَالكَلَامِ فَجِنَايَتُهُمَا مُتَّسِعَةُ الأَطْرَافِ كَثِيرَةُ الشُّعَبِ عَظِيمَةُ الآفَاتِ، وَكَانَ السَّلَفُ يُحَذِّرُونَ مِنْ فُضُولِ النَّظَرِ كَمَا يُحَذِّرُونَ مِنْ فُضُولِ الكَلَامِ وَكَانُوا يَقُولُونَ: مَا شَيْءٌ أَحْوَجُ إِلَى طُولِ السِجْنِ مِنَ اللِّسَانِ» «بَدَائِعُ الفَوَائِد» (٢/ ٤٩٨).
وَمِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ النَّجَاةِ وَالعِصْمَةِ مِنَ الوُقُوعِ فِي حَبَائِلِ الشَّيْطَانِ: التَّوَكُّلُ عَلَى الله وَتَحْقِيقُ العُبُودِيَّةِ لَهُ، قَالَ الله تَعَالَى مُخَاطِبًا إِبْلِيس: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [سُورَةُ الحِجْرِ].
«فَلَمْ يَجْعَلْ لِعَدُوِّهِ سُلْطَانًا عَلَى عِبَادِهِ المُؤْمِنِينَ فَإِنَّهُمْ فِي حِرْزِهِ وَكَلَاءَتِهِ وَحِفْظِهِ وَتَحْتَ كَنَفِهِ» «الوَابِل الصَيِّب» (ص١١).

مَعُونَةٌ عَلَىٰ الخَيْرِ وَمُزْدَجَرٌ عَنْ كُلِّ شَرٍّ وَبَاطِلٍ(١).

◄ وَعَلَيْكَ -أَيُّهَا الشَّابُ- أَنْ تَكُونَ مُؤَدِّيًا حُقُوقَ العِبَادِ الَّتِي أَوْجَبَهَا الله عَلَيْكَ وَأَعْظَمهَا حَقّ الأَبَوَيْنِ فَإِنَّهُ حَقٌّ عَظِيمٌ، وَوَاجِبٌ جَسِيمٌ(٢).

◄ وَعَلَيْكَ -أَيُّهَا الشَّابُ- أَنْ تَكُونَ قَرِيبًا مِنْ أَهْلِ العِلْمِ وَأَكَابِرِ أَهْلِ الفَضْلِ؛ تَسْتَمِعُ إِلَىٰ أَقْوَالِهِمْ، وَتَسْتَرْشِدُ بِفَتَاوَاهمْ، وَتَنْتَفِعُ

---

(١) لأَنَّ الله تَعَالَى يَقُولُ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [سُورَةُ العَنكَبُوتِ :٣٥]، قَالَ شَيْخُنَا عَبْدُ الرَّزَّاق بْن عَبْد المُحْسِن البَدْر حَفِظَهُ الله: «وَوَجْهُ كَوْنِ الصَّلَاة تَنْهَى عَنْ الفَحْشَاء وَالمُنْكَر: أَنَّ العَبْدَ المُقِيم لَهَا، المُتَمِّم لِأَرْكَانِهَا وَشُرُوطِهَا وَخُشُوعِهَا، يَسْتَنِيرُ قَلْبُهُ، وَيَتَطَهَّرُ فُؤَادُهُ، وَيَزْدَادُ إِيمَانُهُ، وَتَقْوَى رَغْبَتُهُ فِي الخَيْرِ، وَتَقِلُّ أَوْ تَنْعَدِمُ رَغْبَتُهُ فِي الشَّرِّ، فَبِالضَّرُورَةِ مُدَاوَمَتُهَا وَالمُحَافَظَةُ عَلَيْهَا عَلَى هَذَا الوَجْهِ تَنْهَى عَنْ الفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ، فَمَا أَعْظَمَ شَأْن هَذِه الصَّلَاة لَوْ أَقْمَنَاهَا كَمَا يَنْبَغِي» «تَعْظِيمُ الصَّلَاة» (ص١١٠).

(٢) قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [سُورَةُ النِّسَآءِ :٣٦]، قَالَ العَلَّامَةُ السَّعْدِي رَحِمَهُ اللهُ: «أَحْسِنُوا إِلَيْهِمْ بِالقَوْلِ الكَرِيم وَالخِطَابِ اللَّطِيف وَالفِعْلِ الجَمِيل بِطَاعَةِ أَمْرِهِمَا وَاجْتِنَابِ نَهْيِهِمَا وَالإِنْفَاقِ عَلَيْهِمَا وَإِكْرَامِ مَنْ لَهُ تَعَلُّقٌ بِهِمَا وَصِلَةِ الرَّحِمِ الَّتِي لَا رَحِمَ لَكَ إِلَّا بِهِمَا» «تَيْسِير الكَرِيم الرَّحْمَن»(ص١٧٧).
وَلْيَحْذَر الشَّابُ كُلَّ الحَذَر مِنْ عُقُوقِ الوَالِدَيْنِ فَإِنَّ عَاقِبَتَهُ وَخِيمَةٌ وَهِيَ مُعَجَّلَةٌ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ الآخِرَة؛ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بَابَان مُعَجَّلَان عُقُوبَتُهُمَا فِي الدُّنْيَا: البَغْيُ وَ العُقُوق» رَوَاهُ الحَاكِمُ فِي «مُسْتَدْرَكِهِ» (٧٣٥٠)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِي فِي «صَحِيح الجَامِع» (٥١٢١).

بِعُلُومِهِمْ، وَتَسْتَشِيرُهُمْ فِيمَا أَهَمَّك[١].

◄ وَعَلَيْكَ -أَيُّهَا الشَّابُ- أَنْ تَكُونَ مُحَقِّقًا مَا أَوْجَبَهُ الله عَلَيْكَ مِنْ سَمْعٍ وَطَاعَةٍ لِوَلِيِّ أَمْرِكَ؛ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ النَّجَاة، وَأَمَّا الطَرَائِقُ القَائِمَةُ عَلَىٰ الافْتِيَاتِ عَلَىٰ وُلَّاةِ الأَمْرِ وَالخُرُوجِ عَنْ الجَمَاعَةِ وَنَزْعِ اليَدِ مِنَ الطَّاعَةِ فَإِنَّهَا لَا تُفْضِي بِأَهْلِهَا إِلَّا إِلَىٰ الشُّرُورِ وَالهَلَكَةِ[٢].

---

(١) لَقَدْ أَرْشَدَنَا النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ البَرَكَةَ مَعَ الأَكَابِر، فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**الْبَرَكَةُ مَعَ أَكَابِرِكُمْ**» رَوَاهُ ابْنُ حِبَّان فِي «صَحِيحِهِ» (٥٥٩)، وَالحَاكِم فِي «مُسْتَدْرَكِهِ» (٢١٠)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِي فِي «صَحِيحِ الجَامِع» (٢٨٨٤).

قَالَ شَيْخُنَا عَبْد الرَّزَّاق بَن عَبْد المُحْسِن البَدْر حَفِظَهُ الله: «أَنْ نَتَأَمَّلَ الحَالَةَ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا سَلَفُنَا الصَّالِح؛ مِنْ أَدَبٍ مَعَ الكِبَار، وَاحْتِرَامٍ لَهُمْ، وَتَوْقِيرٍ وَتَقْدِيرٍ، وَقِيَامٍ بِحُقُوقِهِمْ، فَتَرْعَى ذَلِكَ الأَمْرَ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ سَلَفُنَا الصَّالِح، فَإِذَا طَالَعْتَ كُتُبَ السِّيَر؛ سِيَرَ الصَّحَابَة وَمَنْ اتَّبَعَهُمْ بِإِحْسَانٍ تَجِدُ أَخْبَارًا عَذْبَةً وَسِيرَةً عَطِرَةً كَانُوا يَعِيشُونَهَا، وَتَجِدُ أَنَّ شَبَابَ الصَّحَابَةِ وَشَبَابَ التَّابِعِينَ فِي غَايَةِ الأَدَب، وَفِي غَايَةِ الاحْتِرَامِ لِلْكِبَار، فَتَتَعَلَّم مِنْ خِلَالِ تِلْكَ السِّيَرِ الأَدَبَ الكَرِيم، وَالخُلُقَ الرَّفِيع، لَكِنْ مَنْ مَضَتْ حَيَاتُهُ وَانْصَرَمَتْ زَهْرَةُ شَبَابِهِ وَهُوَ مَفْتُونٌ بِمُطَالَعَةِ أَخْبَارِ اللَّاعِبِينَ وَالفَنَّانِينَ، وَأَشْبَاهَ أُولَئِكَ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَتَعَرَّفَ عَلَى هَذِهِ الأَخْلَاقِ الفَاضِلَةِ النَّبِيلَةِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا سَلَفُنَا الصَّالِح الرَّعِيل الأَوَّل المُبَارَك»«حُقُوقُ كِبَارِ السِّنِّ» ضِمْنَ «سِلْسِلَة رَسَائِل الفَضِيلَة» (ص٣٩٥)، وَانْظُرْ كَذَلِكَ مَقَالًا لِشَيْخِنَا بِعُنْوَان (الرُّجُوع إِلَى العُلَمَاء فِي النَّوَازِل) ضِمْنَ «الفَوَائِد المَنْثُورَة» (ص٧٣).

(٢) «وَإِنَّ مِنْ نَهْجِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ وَسَبِيلِهِمْ مَعَ وُلَاةِ أَمْرِهِمْ: أَنَّهُمْ يَرَوْنَ وُجُوبَ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لَهُمْ فِي المَنْشَطِ وَالمَكْرَهِ أَبْرَارًا كَانُوا أَوْ فُجَّارًا، وَإِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي

◄ وَعَلَيْكَ -أَيُّهَا الشَّابُ- أَنْ تَعْمَلَ فِي أَيَّامِكَ وَلَيَالِيكَ عَلَىٰ تَحْصِينِ نَفْسِكَ بِذِكْرِ الله جَلَّ وَعَلَا، وَأَنْ تَكُونَ مُوَاظِبًا عَلَىٰ الأَذْكَارِ المُوَظَّفَة فِي الصَّبَاحِ وَالمَسَاء وَأَدْبَارِ الصَّلَوَاتِ وَالدُّخُولِ وَالخُرُوجِ وَالرُّكُوبِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، فَإِنَّ ذِكْرَ الله عَزَّ وَجَلَّ عِصْمَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ وَأَمَنَةٌ لِصَاحِبِهِ مِنَ الضُّرِّ وَالبَلَاءِ [١].

المَعْرُوفِ، فَإِنْ أَمَرُوا بِمَعْصِيَةِ الله فَلَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الخَالِقِ، وَيَنْصَحُونَ لَهُمْ، وَلَا يَدْعُونَ عَلَيْهِمْ بَلْ يَدْعُونَ لَهُمْ بِالصَّلَاحِ وَالمُعَافَاة، وَلَا يَرَوْنَ جَوَازَ الخُرُوجِ عَلَيْهِمْ وَلَا قِتَالَهُمْ وَلَا نَزْعِ يَدِ الطَّاعَةِ مِنْهُمْ، وَإِنْ جَارُوا وَظَلَمُوا، بَلْ يَعُدُّونَ ذَلِكَ مِنَ البِدَعِ المُحْدَثَةِ» مِنْ كَلَامِ شَيْخِنَا فِي تَحْقِيقِهِ لِـ «قَاعِدَة مُخْتَصَرَة فِي وُجُوبِ طَاعَةِ الله وَرَسُولِهِ وَوُلَّاةِ الأُمُور» (ص ٨).

وَهَذِهِ الطَّرَائِق القَائِمَة الَّتِي ذَكَرَهَا الشَّيْخُ إِنَّمَا هُمْ طُلَّابُ دُنْيَا فَحَسْب كَمَا كَانَ أَسْلَافُهُمْ، قَالَ الإِمَامُ ابْنُ كَثِير رَحِمَهُ اللهُ: «أَوَّلُ بِدْعَةٍ وَقَعَتْ فِي الإِسْلَامِ فِتْنَةُ الخَوَارِج، وَكَانَ مَبْدَؤُهُمْ بِسَبَبِ الدُّنْيَا» «تَفْسِيرُه» (٢/ ١٠)، وَمَصِيرُهُمْ دَوْمًا إِلَىٰ زَوَال كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**كُلَّمَا خَرَجَ مِنْهُمْ قَرْنٌ قُطِعَ**» رَوَاهُ أَحْمَد (٦٨٧١)، وَابْنُ مَاجَه (١٧٤)، وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِي فِي «صَحِيح ابْنِ مَاجَه» (١٤٤).

(١) قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ يَحْيَىٰ بْنَ زَكَرِيَّا بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ يَعْمَلَ بِهَا وَيَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهَا... وَآمُرُكُمْ أَنْ تَذْكُرُوا اللَّهَ فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ خَرَجَ الْعَدُوُّ فِي أَثَرِهِ سِرَاعًا حَتَّى إِذَا أَتَىٰ عَلَىٰ حِصْنٍ حَصِينٍ فَأَحْرَزَ نَفْسَهُ مِنْهُمْ كَذَلِكَ الْعَبْدُ لاَ يُحْرِزُ نَفْسَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلاَّ بِذِكْرِ اللَّهِ**» رَوَاهُ التِّرْمِذِي (٢٨٦٣)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِي فِي «صَحِيح الجَامِع» (١٧٢٤)، وَلِشَيْخِنَا عَبْد الرَّزَّاق بَن عَبْد المُحْسِن البَدْر حَفِظَهُ الله كِتَابٌ صَغِيرُ الحَجْمِ كَبِيرُ النَّفْعِ بِعُنْوَان «كِتَابُ الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ فِي ضَوْءِ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ» جَمَعَ فِيهِ الأَذْكَارَ النَّبَوِيَّة وَالأَدْعِيَة المَأْثُورَة عَنْ النَّبِيِّ ﷺ.

◄ وَعَلَيْكَ -أَيُّهَا الشَّابُ- أَنْ يَكُونَ لَكَ وِرْدٌ يَوْمِيٌّ مَعَ كِتَابِ اللهِ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبُكَ؛ فَإِنَّ كِتَابَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ طُمَأْنِينَةٌ لِلْقُلُوبِ وَسَعَادَةٌ لَهَا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨﴾ [سُورَةُ الرَّعْدِ] [(١)].

◄ وَعَلَيْكَ -أَيُّهَا الشَّابُ- أَنْ تُكْثِرَ مِنْ دُعَاءِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ أَنْ يُثَبِّتَكَ عَلَىٰ الحَقِّ وَالهُدَىٰ وَأَنْ يُعِيذَكَ مِنَ الشَّرِّ وَالرَّدَىٰ، فَإِنَّ الدُّعَاءَ مِفْتَاحُ كُلِّ خَيْرٍ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ[(٢)].

---

(١) وَهَذِهِ نَصِيحَةٌ فِي غَايَةِ الأَهَمِّيَّةِ، وَفِي المُقَابِلِ فَلْيَحْذَرْ المُسْلِمُ مِنَ التَّفْرِيطِ وَالتَّقْصِيرِ فِي تِلَاوَةِ القُرْآنِ (أَيْ: هَجْره) فِي يَوْمِهِ وَلَيْلِهِ خَاصَّةً إِذَا كَانَ يَبْحَثُ عَنْ صَلَاحِ قَلْبِهِ وَتَحْسِينِ عَلَاقَتِهِ بِرَبِّهِ، قَالَ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ: «وَبِالجُمْلَةِ فَلَا شَيْءَ أَنْفَعَ لِلْقَلْبِ مِنْ قِرَاءَةِ القُرْآنِ بِالتَّدَبُّرِ وَالتَّفَكُّرِ فَإِنَّهُ جَامِعٌ لِجَمِيعِ مَنَازِلِ السَّائِرِين، وَأَحْوَالِ العَامِلِين، وَمَقَامَاتِ العَارِفِين، وَهُوَ الَّذِي يُورِثُ المَحَبَّةَ وَالشَّوْقَ وَالخَوْفَ وَالرَّجَاءَ وَالإِنَابَةَ وَالتَّوَكُّلَ وَالرِّضَا وَالتَّفْوِيضَ وَالشُّكْرَ وَالصَّبْرَ وَسَائِرَ الأَحْوَالِ الَّتِي بِهَا حَيَاةُ القَلْبِ وَكَمَالُهُ، وَكَذَلِكَ يَزْجُرُ عَنْ جَمِيعِ الصِّفَاتِ وَالأَفْعَالِ المَذْمُومَةِ وَالَّتِي بِهَا فَسَادُ القَلْبِ وَهَلَاكُهُ، فَلَوْ عَلِمَ النَّاسُ مَا فِي قِرَاءَةِ القُرْآنِ بِالتَّدَبُّرِ لاشْتَغَلُوا بِهَا عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهَا» «مِفْتَاحُ دَارِ السَّعَادَة» (١/ ١٨٧).

(٢) لَمَّا سُئِلَتْ أُمُّنَا أُمُّ سَلَمَة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا عَنْ أَكْثَرِ دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ إِذَا كَانَ عِنْدَهَا فَقَالَتْ: كَانَ أَكْثَرُ دُعَائِهِ «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَىٰ دِينِكَ»، قَالَتْ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لأَكْثَرِ دُعَائِكَ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ؟ قَالَ: «يَا أُمَّ سَلَمَةَ إِنَّهُ لَيْسَ آدَمِيٌّ إِلاَّ وَقَلْبُهُ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ فَمَنْ شَاءَ أَقَامَ وَمَنْ شَاءَ أَزَاغَ» رَوَاهُ التِّرْمِذِي (٣٥٢٢)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِي فِي «صَحِيح التِّرْمِذِي» (٢٧٩٢).

◄ وَعَلَيْكَ -أَيُّهَا الشَّابُ- أَنْ تَكُونَ حَرِيصًا عَلَىٰ مُرَافَقَةِ الأَخْيَارِ وَمُصَاحَبَةِ الأَبْرَار، وَأَنْ تَجْتَنِبَ أَهْلَ الشَّرِّ وَالفَسَادِ؛ فَإِنَّ فِي صُحْبَةِ أَهْلِ الشَّرِّ العَطَب[١].

◄ وَعَلَيْكَ -أَيُّهَا الشَّابُ- أَنْ تَكُونَ عَلَىٰ حَذَرٍ شَدِيدٍ مِنْ هَذِهِ الوَسَائِلِ الَّتِي غُزِيَ الشَّبَابُ مِنْ خِلَالِهَا وَلَا سِيمَا شَبَكَة المَعْلُومَات لِيَسْلَمَ لَكَ دِينُكَ وَلِتَكُونَ فِي عَافِيَةٍ مِنْ أَمْرِكَ، وَالعَافِيَةُ لَا يَعْدِلُهَا شَيْءٌ[٢].

◄ وَعَلَيْكَ -أَيُّهَا الشَّابُ- أَنْ تَكُونَ عَلَىٰ ذِكْرٍ دَائِمًا أَنَّكَ

---

(١) وَكَمَا يُقَالُ: (الصَّاحِب سَاحِب)، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**الرَّجُلُ عَلَىٰ دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ**» رَوَاهُ أَبُو دَاوُد (٤٨٣٣)، وَالتِّرْمِذِي (٢٣٧٨)، وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِي فِي «السِّلْسِلَة الصَّحِيحَة» (٩٢٧).
شَرْحُ الحَدِيث:«قَوْلُهُ (**الرَّجُلُ**) يَعْنِي الْإِنْسَانَ (**عَلَىٰ دِينِ خَلِيلِهِ**) أَيْ عَلَى عَادَةِ صَاحِبِهِ وَطَرِيقَتِهِ وَسِيرَتِهِ (**فَلْيَنْظُرْ**) أَيْ: فَلْيَتَأَمَّلْ وَلْيَتَدَبَّرْ (**مَنْ يُخَالِلْ**) مِنَ الْمُخَالَّةِ وَهِيَ الْمُصَادَقَةُ وَالْإِخَاءُ فَمَنْ رَضِيَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ خَالَلَهُ وَمَنْ لَا تَجَنَّبُهُ فَإِنَّ الطِّبَاعَ سَرَّاقَةٌ وَالصُّحْبَةُ مُؤَثِّرَةٌ فِي إِصْلَاحِ الْحَالِ وَإِفْسَادِهِ»«تُحْفَةُ الأَحْوَذِي» (٧/ ٤٢).

(٢) مَا ظَهَرَ فِي هَذِهِ الأَزْمَانِ المُتَأَخِّرَةِ مِنْ شَبَكَات المَعْلُومَات وَ القَنَوَات الفَضَائِيَّة يَكْمُنُ خَطَرُهَا فِي فِتْنَتَيْ الشَّهَوَات وَالشُّبُهَات (إِذَا لَمْ تُسْتَغَل فِيمَا يَنْفَع)، «قَالَ بَعْضُ السَّلَف: مَا أَمَرَ الله تَعَالَىٰ بِأَمْرٍ إِلَّا وَلِلشَّيْطَانِ فِيهِ نَزْغَتَان: إِمَّا إِلَىٰ تَفْرِيطٍ وَتَقْصِيرٍ، وَإِمَّا إِلَىٰ مُجَاوَزَةٍ وَغُلُوٍّ؛ وَلَا يُبَالِي بِأَيِّهِمَا ظَفَر»«إِغَاثَةُ اللَّهْفَان» (١/ ١١٦).

سَتَقِفُ يَوْمًا بَيْنَ يَدَيْ الله وَيَسْأَلُكَ فِيهِ عَنْ هَذَا الشَّبَابِ فِيمَا أَمْضَيْتَهُ وَأَفْنَيْتَهُ ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ ٢٦ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ٢٧﴾ [سُورَةُ الطُّورِ].

وَأَسْأَلُ الله عَزَّوَجَلَّ أَنْ يَحْفَظَكَ بِمَا يَحْفَظُ بِهِ عِبَادَهُ الصَّالِحِينَ(١).

وَصَلَّىٰ الله وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِين.

كَتَبَهَا / عَبْدُ الرَّزَّاقِ بْنُ عَبْدِ الْمُحْسِنِ الْبَدْرُ

---

(١) أَخِي الحَبِيب: خُذْ بِهَذِه النَّصَائِحِ الثَّمِينَةِ النَّافِعَة فِي طَرِيقِكِ إِلَى الله وَالدَّارِ الآخِرَة، وَهِي كَمَا قَالَ شَيْخُنَا: «إِنْ أَخَذْتَ بِهَا كَانَتْ مُوجِبَةً لِنَجَاتِكَ وَسَبَبًا لِفَلَاحِكَ وَسَعَادَتِكَ فِي دُنْيَاكَ وَأُخْرَاكَ».

وَرَحِمَ الله الحَسَنَ البَصْرِيّ لَمَّا قَالَ:«إِنَّ الإِيمَانَ لَيْسَ بِالتَّحَلِّي، وَلا بِالتَّمَنِّي، إِنَّمَا الإِيمَانُ مَا وَقَرَ فِي الْقَلْبِ وَصَدَّقَهُ الْعَمَلُ» رَوَاهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَة فِي «مُصَنَّفه» (٣٠٩٨٨)، وَالبَيْهَقِي فِي «شُعَب الإِيمَان» (٦٦).

«وَقَالَ بَعْضُ العُلَمَاء رَحِمَهُمُ الله: إِنَّ لِلْبَاقِي بِالمَاضِي مُعْتَبَرًا، وَلِلْآخِرِ بِالأَوَّلِ مُزْدَجَرًا، وَالسَّعِيدُ مَنْ لَا يَغْتَرُّ بِالطَّمَع، وَلَا يَرْكَنُ إِلَى الخُدَع، وَمَنْ ذَكَرَ المَنِيَّةَ نَسِيَ الأُمْنِيَّة، وَمَنْ أَطَالَ الأَمَل نَسِيَ العَمَل، وَغَفَلَ عَنْ الأَجَل»«الجَامِع لِأَحْكَام القُرْآن» (١٧/ ٢٤٧).

رسالة مقترحة مِنْ أَبٍ لابْنِه

فِي الحَثِّ عَلَى الصلاة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ابْنِي الوَفِيّ الكَرِيم[١] / ..... حَفِظَكَ الله وَبَلَّغَكَ رِضَاه وَأَسْعَدَكَ فِي دُنْيَاك وَأُخْرَاك، آمِين.

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُه.

وَبَعْدُ:

فَهَذِهِ رِسَالَةُ حُبٍّ وَتَذْكِيرٍ أَكْتُبُهَا بِمِدَادِ قَلْبِ أَبٍ عَطُوفٍ، وَوَالِدٍ مُشْفِقٍ لِقُرَّةِ عَيْنِهِ وَفَلْذَةِ كَبِدِهِ رَاجِيًا سَعَادَتَهُ وَمُبْتَغِيًا فَوْزَهُ وَطَامِعًا فِي نَجَاتِهِ، وَاللهَ وَحْدَهُ أَسْأَلُ أَنْ يَتَوَلَّاكَ بِتَوْفِيقِهِ وَيَكْلَأَكَ بِرِعَايَتِهِ وَتَسْدِيدِهِ.

اعْلَمْ ابْنِي الكَرِيم أَنَّ أَهَمَّ أُمُورِ العَبْدِ الصَّلَاة؛ فَمَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا

---

(١) قَالَ شَيْخُنَا عَبْدُ الرزَّاق بن عَبْد المُحْسِن البَدْر حفظه الله فِي سَبَبِ تَحْرِير هَذِه الرِّسَالَة:

«نَظَرًا لِشَكْوَىٰ عَدَدٍ مِنَ الآبَاءِ مِنْ تَفْرِيطِ أَبْنَائِهِمْ فِي المُحَافَظَةِ عَلَىٰ الصَّلَاةِ وَكَسَلِهِمْ عِنْدَ إِيقَاظِهِمْ لَهَا حُرِّرتُ هَذِهِ الرِّسَالَةُ تَعَاوُنَنَا فِي نُصْحِ الأَبْنَاء جَعَلَهُمْ الله لَنَا أَجْمَعِين قُرَّة أَعْيُنٍ، وَأَصْلَحَهُمْ وَجَعَلَهُمْ مِنَ المُقِيمِين الصَّلَاة بِمَنِّه وَكَرَمِه».

وَحَفِظَهَا حَفِظَ دِينَه، وَمَنْ ضَيَّعَهَا كَانَ لِمَا سِوَاهَا مِنْ عَمَلِهِ أَشَدَّ إِضَاعَةً، وَهِيَ عَمُودُ الإِسْلَام وَقَبُولُ سَائِرِ الأَعْمَالِ مَوْقُوفٌ عَلَىٰ قَبُولِ الصَّلَاة، فَإِذَا رُدَّتْ رُدَّتْ عَلَيْهِ سَائِرُ الأَعْمَال، وَهِيَ أَوَّلُ فُرُوضِ الإِسْلَام، وَهِيَ آخِرُ مَا يُفْقَدُ مِنَ الدِّين، فَهِيَ أَوَّلُ الإِسْلَام وَآخِرُه، وَلَا يَسْتَقِيمُ دِينُ المُسْلِم، وَلَا تَصْلُحُ أَعْمَالُه، وَلَا يَعْتَدِلُ سُلُوكُه فِي شُؤُونِ دِينِه وَدُنْيَاه، حَتَّىٰ يُقِيمَ هَذِهِ الصَّلَاة عَلَىٰ وَجْهِهَا المَشْرُوع.

ابْنِي الكَرِيم: اعْلَمْ أَنَّ لَكَ مَوْقِفَين تَقِفُهُمَا بَيْنَ يَدَيْ الرَبِّ؛ أَحَدُهُمَا فِي هَذِهِ الحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَالآخَرُ يَوْمَ تَلْقَىٰ الله جَلَّ وَعَلَا يَوْمَ القِيَامَة، وَيَتَرَتَّبُ عَلَىٰ صَلَاحِ المَوْقِفِ الأَوَّلِ فَلَاحُكَ وَسَعَادَتُكَ فِي المَوْقِفِ الثَّانِي، وَيَتَرَتَّبُ عَلَىٰ فَسَادِ حَالِ العَبْدِ فِي المَوْقِف الأَوَّلِ ضَيَاع أَمْرِهِ وَخُسْرَانه فِي المَوْقِفِ الثَّانِي(١).

---

(١) وَكَمَا قِيل: الجَزَاءُ مِنْ جِنْسِ العَمَل.
قَالَ الإِمَامُ ابنُ القيِّم رَحِمَهُ اللهُ: «لِلْعَبْدِ بَيْنَ يَدَيْ الله مَوْقِفَان:
مَوْقِفٌ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي الصَّلَاة، وَمَوْقِفٌ بَيْنَ يَدَيْهِ يَوْمَ لِقَائِه؛ فَمَنْ قَامَ بِحَقِّ المَوْقِفِ الأَوَّل هُوِّنَ عَلَيْهِ المَوْقِفُ الآخَر، وَمَنْ اسْتَهَانَ بِهَذَا المَوْقِفِ وَلَمْ يُوَفِّه حَقَّه شُدِّدَ عَلَيْهِ ذَلِكَ المَوْقِف، قال تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا ٢٦ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا ٢٧﴾ [شُورَةُ الإِنسَٰنِ]» «الفوائد» (ص٢٠٠).

المَوْقِفُ الأَوَّلُ: هُوَ هَذِه الصَّلَاة الَّتِي كَتَبَهَا اللهُ جَلَّ وَعَلَا عَلَىٰ عِبَادِهِ وَافْتَرَضَهَا عَلَيْهِمْ خَمْسَ مَرَّاتٍ فِي اليَوْمِ وَاللَّيْلَةِ؛ فَمَنْ حَافَظَ عَلَىٰ هَذِهِ الصَّلَاة، وَاعْتَنَىٰ بِهَا، وَأَدَّاها فِي أَوْقَاتِهَا، وَحَافَظَ عَلَىٰ شُرُوطِهَا وَأَرْكَانِهَا وَوَاجباتِها هَانَ عَلَيْه المَوقِفُ يَوْمَ القِيَامَة، وَأَفْلَحَ وَأَنْجَحَ، وَأَمَّا إِذَا اسْتَهانَ بِهَذَا المَوْقِفِ؛ فَلَمْ يُعْنَ بِهَذِهِ الصَّلَاة، وَلَمْ يُوَاظِبْ عَلَيْهَا، وَلَمْ يُحَافِظْ عَلَىٰ أَرْكَانِهَا وَشُرُوطِهَا وَوَاجِبَاتِهَا عَسُرَ عَلَيْهِ مَوْقِفُ يَوْمِ القِيَّامَة.

رَوَىٰ التِّرْمِذِي وَالنَّسَائِي وَغَيْرُهُمَا عَنْ حُرَيث بن قَبيصَة رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: أَتَيْتُ المَدِينَةَ فَسَأَلْتُ اللهَ جَلَّ وَعَلَا أَنْ يَرْزُقَنِي جَلِيسًا صَالِحًا، فَجَلَسْتُ إِلَىٰ أَبِي هُرَيْرَة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا هُرَيْرَة! إِنِّي سَأَلْتُ الله أَنْ يَرْزُقَنِي جَلِيسًا صَالِحًا؛ فَعَلِّمْنِي حَدِيثًا سَمِعْتَه مِنْ رَسُولِ الله ﷺ لَعَلَّ الله أَنْ يَنْفَعَنِي بِه!

فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ العَبْدُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلَاتُهُ؛ فَإِنْ صَلحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ»[1]، وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

(١) رَوَاهُ التِّرْمِذِي (٤١٣)، وَالنَّسَائِي (٤٦٥)، وَقَالَ الأَلْبَانِي صَحِيحٌ لِغَيْرِهِ فِي «صَحِيح

فتأمَّل ابْنِي رعاك اللهُ: تَرَتُّبُ صَلَاحِ المَوْقِفِ الثَّانِي عَلَىٰ صَلَاحِ المَوْقِفِ الأَوَّل، والخُسْرَانُ فِي المَوْقِفِ الثَّانِي عَلَىٰ الخُسْرَانِ فِي المَوْقِفِ الأَوَّل.

فاتَّقِ اللهَ فِي هَذِه الصَّلَاة، وَحَافِظْ عَلَىٰ هَذَا المَوْقِف بَيْنَ يَدَيْ الله جَلَّجَلَالُهُ، عَظِّمْ هَذِه الصَّلَاة يَعْظُمُ أَمْرُكَ عِنْدَ الله، وَتَعْلُو مَكَانَتُك عِنْدَه. يَا أَيُّها الابْنُ المُوَفَّق! إِذَا أَكْرَمَكَ اللهُ جَلَّوَعَلَا بَأَبٍ يَعْتَنِي بِكَ فِي هَذِهِ الصَّلَاة حَثًّا وَحَضًّا وَتَرْغِيبًا؛ فَإِيَّاكَ ثُمَّ إِيَّاكَ أَنْ تَنْزَعِج مِنْه، أَوْ أَنْ تَتَضَجَّرَ مِنْ مُتَابَعَتِهِ لَك؛ فَإِنَّه ـ والله ـ يَعْمَلُ عَلَىٰ إِنْقَاذِكَ مِنْ سَخَطِ الله، وَيَعْمَلُ عَلَىٰ إِيصَالِكَ إِلَىٰ مَرْضَاةِ الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، فَإِنَّ الله جَلَّوَعَلَا لَا يَرْضَىٰ عَنْكَ إِلَّا إِذَا كُنْتَ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الصَّلَاة مُحَافَظَةً عَلَيْهَا وَأَدَاءً لَهَا[1].

ابْنِي الكَرِيم وَإِنَّ مِنْ تَعْظِيمِ الصَّلَاةِ أَنْ تَنْهَض لَهَا إِذَا دُعِيتَ إِلَيْهَا بِانْشِرَاحٍ وَقُوَّةٍ وَرَغْبَةٍ وَمُجَانَبَةٍ لِلْارْتِخَاءِ وَالتَّكَاسُل.

التَّرْغِيب» (٥٤٠).

(١) وَهُوَ مُمْتَثِلٌ لِقَوْلِ الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾ [سُورَةُ التَّحۡرِيمِ].

رَوىٰ قوام السُّنَّة أَبُو القَاسِم الأَصْبَهَانِي في «التَّرغيب والتَّرهيب»[(١)] عَنْ عَبْدِ الله بن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «يُكْرَهُ أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ إِلَىٰ الصَّلَاة وَهُوَ كَسْلَان، وَلَكِنْ يقُومُ إِلَيْهَا طَلْقَ الوَجْهِ، عَظِيمَ الرَّغْبَةِ، شَدِيدَ الفَرَحِ، فَإِنَّهُ يُنَاجِي اللهَ جَلَّجَلَالُهُ، وَإِنَّ اللهَ جَلَّجَلَالُهُ أَمَامَهُ يَغْفِرُ لَهُ وَيُجِيبُه إِذَا دَعَاهُ، وَيَتْلُو هَذِهِ الآيَة: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾ [سُورَةُ النِّسَاءِ: ١٤٢].

فَإِنَّ الفُتُورَ وَالتَّوَانِي وَالتَّرَاخِي وَالكَسَل إِنْ وُجِدَ فِي العَبْدِ فَهُوَ رَاجِعٌ إِلَىٰ ضُعْفِ القُلُوبِ وَوَهَنِهَا، وَعَدَم مَعْرِفَتِهَا بِقِيمَةِ الصَّلَاة وَمَكَانَتِهَا. وَلَقَدْ بَلَغَ مِنْ اهْتِمَامِ صَدْرِ هَذِهِ الأُمَّةِ بِصَلَاةِ الجَمَاعَةِ مَا رَوَاهُ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «لَقَدْ رَأَيْتُنَا -يَعْنِي أَصْحَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا -أَيْ الصَّلَاة- إِلَّا مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَىٰ بِهِ يُهَادَىٰ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حتَّىٰ يُقَامَ فِي الصَّفِّ»[(٢)]؛ فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ لَا يَسْتَطِيعُ المَشْيَ لِمَرَضٍ أَوْ كِبَرٍ؛ أَخَذُوا بعَضُدَيْهِ، وَسَاعَدُوهُ عَلَىٰ المَشْي حَتَّىٰ يُقِيمُوهُ فِي صَفِّ المُسْلِمِينَ

(١) (١٩٠٤).

(٢) رَوَاهُ مُسْلِم (٦٥٤).

لِلْصَّلَاة، كُلُّ ذَلِكُمْ؛ لِأَنَّ قُلُوبَهُمْ مُدْرِكَةٌ تَمَامَ الإِدْرَاكِ مَكَانَةَ الصَّلَاةِ وَقِيمَتَهَا؛ فَلَمَّا عَظُمَتْ مَكَانَةُ الصَّلَاةِ فِي القُلُوبِ تَحَرَّكَتْ تِلْكَ الأَبْدَانُ الضَّعِيفَةُ إِلَىٰ المَسَاجِدِ مَعَ ضعْفِهَا الشَّدِيدِ[١].

وَلِصَلَاةِ الفَجْرِ الَّتِي تَأْتِي فِي مُفتَتَحِ اليَوْمِ وَفِي بِدَايَتِهِ وَأَوَّلِه شَأْنٌ خَاصٌّ، فَالمُحَافَظَةُ عَلَيْهَا عُنْوَانٌ عَلَىٰ فَلَاحِ الإِنْسَانِ وَسَعَادَتِهِ فِي يَوْمِه كُلِّه، وَإِضَاعَتُهَا إِضَاعَةٌ ـ إي والله ـ لِلْيَوْمِ كُلِّه، وَذَهَابٌ لِبَرَكَتِه.

وَلْيُتأَمَّلْ فِي هَذَا المَعْنَىٰ مَا ثَبَتَ فِي «الصَّحيحين»[٢] مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَىٰ قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ؛ يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ: عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ، فَإِنِ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ**

---

(١) سَمِع عَامِر بن عَبْد الله رَحِمَهُ اللهُ، المُؤَذِّنَ وَهُوَ يَجُودُ بِنَفْسِه وَمَنْزِلُه قَرِيبٌ مِنَ المَسْجِد قال: خُذُوا بِيَدِي.
فَقِيلَ لَه: إِنَّكَ عَلِيل.
فَقَالَ: أَسْمَعُ دَاعِي الله فَلَا أُجِيبُه؟!
فَأَخَذُوا بِيَدِه، فَدَخَلَ في صَلَاة المَغْرِب فَرَكَعَ مَعَ الإِمَام رَكْعَة ثُمَّ مَاتْ» «صِفَةُ الصَّفْوَة» (٢/ ١٣١)، «سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاء»(٥/ ٢٢٠).

(٢) رَوَاهُ البُخَارِي (١١٤٢)، وَمُسْلِم (٧٧٦).

تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ صَلَّىٰ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ؛ فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ، وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلَانَ»؛ هَذَا شَأْنُ تَارِكِ صَلَاةِ الفَجْرِ: نَفْسُهُ خَبِيثَةٌ، وَيَوْمُه كُلُّه فِي كَسَلٍ، بَينَمَا إِذَا حَافَظَ عَلَىٰ صَلَاةِ الفَجْرِ وَأَدَّاهَا فِي وَقْتِهَا مَعَ جَمَاعَةِ المُسْلِمِينَ كَانَتْ عُنْوَانَ البَرَكَةِ وَالخَيْرِ وَالسَّعَادَةِ فِي يَوْمِه.

وَلْيُتَأَمَّلْ أَيْضًا مَا رَوَاهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: ذُكِرَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ رَجُلٌ نَامَ لَيْلَهُ حتَّىٰ أَصْبَحَ قَالَ: «ذَاكَ رَجُلٌ بَالَ الشَّيْطَانُ فِي أُذُنَيْهِ ـ أَوْ قَالَ ـ فِي أُذُنِهِ»[1].

وَقَدْ بَيَّنَ أَهْلُ العِلْمِ أَنَّ الشَّيْطَانَ يَبُولُ فِي أُذُنَيْهِ بَوْلًا حَقِيقِيًّا، فَمَا حَالُ مَنْ كَانَ هَذَا شَأْنُهُ: يَقُومُ وَأُذُنُهُ مُمْتَلِئَةٌ بِبَوْلِ الشَّيْطَانِ القَذِر!!

وَهِي حَالُ مَنْ يَتْرُكُ صَلَاةَ الفَجْرِ مُسْتَغْرِقًا فِي نَوْمِهِ.

وَلْيُتَأَمَّلْ أَيْضًا مَا رَوَاهُ البُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِه» مِنْ حَدِيثِ سَمُرة بْنِ جُنْدُبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي سِيَاقٍ طَوِيلٍ فِيهِ ذِكْرُ رُؤْيَا النَّبِيِّ ﷺ الَّتِي رَآهَا، وَفِيهَا:

(١) رَوَاهُ البُخَارِي (١١٤٤)، وَمُسْلِم (٧٧٤).

قَالَ: «وَإِنَّا أَتَيْنَا عَلَىٰ رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ وَإِذَا آخَرُ قَائِمٌ عَلَيْهِ بِصَخْرَةٍ، وَإِذَا هُوَ يَهْوِي بِالصَّخْرَةِ لِرَأْسِهِ فَيَثْلَغُ رَأْسَهُ، فَيَتَدَهْدَهُ الحَجَرُ هَهُنَا، فَيَتْبَعُ الحَجَرَ فَيَأْخُذُهُ فَلاَ يَرْجِعُ إِلَيْهِ حتَّىٰ يَصِحَّ رَأْسُهُ كَمَا كَانَ، ثمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ المَرَّةَ الأُولَىٰ» ثُمَّ قَالَ فِي تَمَامِهِ: «أَمَّا الرَّجُلُ الأَوَّلُ الَّذي أَتَيْت عَلَيْهِ يُثْلَغُ رَأْسُهُ بِالحَجَرِ؛ فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَأْخُذُ القُرْآنَ فَيَرْفُضُهُ، وَيَنَامُ عَنِ الصَّلاة المَكْتُوبَة»[١]، وجُعِلت العُقُوبَةُ فِي رَأْسِهِ لِنَوْمِهِ عَنْ الصَّلَاة، وَالنَّوْمُ مَوْضِعُهُ الرَّأْس.

ابْنِي الكَرِيم لِيَكُنْ لَكَ فِي سَلَفِكَ الصَّالِحِ أُسْوَةٌ:

قَالَ وَكِيعُ بْنُ الجَرَّاحِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «كانَ الأعمشُ رَحِمَهُ اللَّهُ قَرِيبًا مِنْ سَبْعِينَ سَنَةً لَمْ تَفُتْهُ التَّكْبِيرَةُ الأُولَىٰ، وَاخْتَلفْتُ إِلَيْهِ قَرِيبًا مِنْ سَبْعِينَ؛ فَمَا رَأَيْتُهُ يَقْضِي رَكْعَةً»[٢].

وَقَالَ غَسَّان رَحِمَهُ اللَّهُ: «حَدَّثَنِي ابْنُ أَخِي بِشْرُ بْنُ مَنْصُور رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: مَا رَأَيْتُ عَمِّي فَاتَتْهُ التَّكْبِيرَةُ الأُوْلَىٰ»[٣].

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِي (٧٠٤٧).

(٢) «سِيَرُ أَعْلاَمِ النُّبَلاَء» (٦/ ٢٢٨).

(٣) «سِيَرُ أَعْلاَمِ النُّبَلاَء» (٨/ ٣٦٠).

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ المُسَيِّب رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَا فَاتَتْنِي التَّكْبِيرَةُ الأُوْلَىٰ مُنْذُ خَمْسِينَ سَنَةً، وَمَا نَظَرْتُ إِلَىٰ قَفَا رَجُلٍ فِي الصَّلَاةِ مُنْذُ خَمْسِينَ سَنَة»[١]، لِمُحَافَظَتِهِ عَلَىٰ الصَّفِّ الأَوَّلِ.

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَماعة رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَكَثْتُ أَرْبَعِينَ سَنةً لَمْ تَفُتْنِي التَّكْبِيرَةَ الأُوْلَىٰ مَعَ الإِمَامِ إِلَّا يَوْمَ مَاتَتْ فِيه أُمِّي فَفَاتَتْني صَلَاةٌ وَاحِدَةٌ فِي الجَمَاعَة»[٢].

وَقَالَ أَبُو دَاوُد رَحِمَهُ اللَّهُ: «كَانَ إِبْرَاهِيمُ الصَّائِغِ رَجُلًا صَالِحًا، قَتَلَه أَبُو مُسْلِم بعَرَنْدَس، قَالَ: وَكَانَ إِذَا رَفَعَ المِطْرَقَةَ فَسَمِعَ النِّدَاءَ سَيَّبَها»[٣].

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ التَّيْمِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِذَا رأيتَ الرَّجُل يتَهَاوَنُ فِي التَّكْبِيرَةِ الأُوْلَىٰ فَاغْسِلْ يدَكَ مِنْه»[٤].

ابْنِي الكَرِيم إِنَّ الصَّلَاةَ نُورُ المُؤْمِنِين، وَضِيَاءُ أَفْئِدَتِهِم، وَهِي

---

(١) «حِلْيَةُ الأَوْلِيَاء» (٢/ ١٦٣).

(٢) «تَارِيخُ بَغْدَاد» (٣/ ٢٩٨)، «سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاء» (١٠/ ٦٤٦).

(٣) «سُنَنُ أَبِي دَاوُد» (٣٢٥٤).

(٤) «حِلْيَةُ الأَوْلِيَاء» (٤/ ٢١٥)، «سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاء» (٥/ ٦٢).

الصِّلَةُ بَيْنَ العَبْدِ وَبَيْنَ ربِّه، وَإِذَا كَانَتْ صَلَاةُ العَبْدِ صَلَاةً كَامِلَةً، مُجْتَمِعًا فِيهَا مَا يَلْزَمُ فِيهَا وَمَا يُسَنُّ، وَحَصَلَ فِيهَا حُضُورُ القَلْبِ الَّذِي هُوَ لُبُّهَا، فَصَارَ العَبْدُ إِذَا دَخَلَ فِيهَا اسْتَشْعَرَ دُخُولَهُ عَلَىٰ رَبِّه، وَوَقُوفَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ مَوْقِفَ العَبْدِ الخَاشِعِ المُتَأَدِّب، مُسْتَحْضِرًا لِكُلِّ مَا يَقُولُهُ وَمَا يَفْعَلُهُ، مُسْتَغْرِقًا بِمُنَاجَاةِ رَبِّهِ وَدُعَائِه؛ فَلَا جَرَمَ أَنَّهَا مِنْ أَكْبَرِ المَعُونَةِ عَلَىٰ جَمِيعِ الفَضَائِلِ وَالخَيْرَاتِ، وَأَعْظَمِ مُزْدَجَرٍ عَنْ الفَوَاحِشِ وَالمُنْكَرَاتِ.

وَمِنْ آثَارِ الصَّلَاةِ العَظِيمَةِ، وَثِمَارِهَا الجَلِيلَةِ أَنَّهَا أَعْظَمُ بَابٍ لِلْغُفْرَانِ وَحَطِّ الأَوْزَارِ وَتَكْفِير السَّيِّئَاتِ، فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسًا؛ مَا تَقُولُ ذَلِكَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ؟**

قَالُوا: لَا يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ شَيْئًا.

قَالَ: فَذَلِكَ مِثْلُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ يَمْحُو اللهُ بِهَا الخَطَايَا»[١].

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِي (٥٢٨)، وَمُسْلِم (٦٦٧).

أسألُ الله الكَريمَ أَنْ يُوَفِّقَكَ لِتَعْظِيمِ الصَّلَاةِ وَالمُحَافَظَةِ عَلَيْهَا وَحُسْنِ إِقَامَتِهَا، وَأَنْ يَشْرَحَ صَدْرَكَ، وَيُيَسِّرَ أَمْرَكَ، وَيُعْلِي فِي الدَّارين قَدْرَكَ، وَصَلَّىٰ الله عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ.

وَالِدُكَ المُحِبّ

فضل شهر رمضان

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ لله الَّذي جعل الصِّيَام حِصناً حصيناً مِنَ النَّار وجُنَّة، وجعله مرتقىً لكلِّ خير وسبيلاً إلىٰ الجَنَّة، وأشهدُ أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له عظُمَت منه علىٰ عباده المِنَّة، وأشهدُ أنَّ محمَّداً عبده ورسوله لَا خير إلَّا فيما دعا إليه وسَنَّه؛ صلَّىٰ الله وسلَّم عليه وعلىٰ آله الأخيار وصحابته الأبرار وسلَّم تسليماً كثيرًا.

أمَّا بعد:

معاشر المؤمنين عباد الله: أوصيكم ونفسي بتقوىٰ الله، فإنَّ مَنْ اتَّقىٰ الله وقاه وأرشده إلىٰ خير أمور دينه ودنياه، ثمَّ اعلموا رعاكم الله أنَّ نعمة الله جَلَّ وَعَلَا علينا عظيمة بهذا الشَّهر العظيم والموسم الكريم؛ موسم شهر رمضان المبارك الَّذِي تعدَّدَت خيراته وتنوَّعت بركاته وتعدَّدت فضائله وميزاته؛ شهر اصطفاه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ واختاره من بين بقيَّة الشُّهور وجعله للطَّاعة موسماً عظيما وللخيرات كلِّها مرتقىٰ كريما، ولقد تعدَّدت الأحاديث

عباد الله عن النَّبِيِّ ﷺ مبيِّنة عظيم مكانة هذا الشهر وكبير فضله وتعدد خيراته وبركاته.

وهذه وقفةٌ مع حديثٍ واحد مِنْ أحاديث الرَّسول الكريم ﷺ المُنَوِّهة بهذا الشَّهر المبيِّنة لعظيم فضله وكبير مكانته:

روىٰ الترمذي وابن ماجه وغيرهما من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**إِذَا كَانَتْ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ صُفِّدَتْ الشَّيَاطِينُ وَمَرَدَةُ الْجِنِّ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ، وَفُتِحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ، وَنَادَىٰ مُنَادٍ: يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ، وَلِلَّهِ عُتَقَاءُ مِنْ النَّارِ وَذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ**»[(١)].

تأمَّل - عبد الله - هذا الحديث العظيم الدَّال علىٰ عظيم مكانة هذا الشَّهر وما خصَّه الله عَزَّوَجَلَّ به مِنْ فضائل ومزايَا وخصائص عظيمة؛ شهرٌ تصفَّد فيه مردة الشَّياطين، وتفتَّح فيه أبواب الجنَّة، وتغلَّق فيه أبواب النَّار، وكلُّ ذلك عباد الله محرِّكٌ للقلوب

(١) رواه الترمذي (٦٨٢)، وابن ماجه (١٦٤٢)، وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٥٩).

المؤمنة، مهيِّجٌ للنُّفُوس المطمئنَّة لتقبِل علىٰ أبواب الخير وسبله ولِتَنْكَفَّ عن أبواب الشَّر وسبله، أبواب الجنَّة مفتَّحة لأهلها؛ أهل الخير والفضائل أهل المسابقة للخيرات والمنافسة للطَّاعات، وأبواب النَّار مغلَّقة لأنَّ أهل الإيمان أحرص ما يكونون في هذا الشَّهر علىٰ البعد عمَّا يُسخطُ الله جَلَّ وَعَلَا وعن كلِّ ما يغضبه خوفًا من عقاب الله وخوفًا من سخطه سبحانه وناره، والشَّياطين الَّذِين كانوا يصدُّون النَّاس عن دين الله ويصرفونهم عن سواء السَّبيل؛ مِنَّةُ الله علىٰ عباده عظيمة في هذا الشَّهر بتصفيدهم فلا يخلصون إلىٰ ما كانوا يخلصون إليه في غير رمضان[1].

وتأمَّل رعاك الله؛ تأمَّل كثيرًا ومليًّا داعي الله عَزَّوَجَلَّ المتكرِّر في كلِّ ليلة من ليالي رمضان «**يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ**»؛ داعٍ ينادي في كلِّ ليلة من ليالي رمضان، وإنْ كنَّا -عباد

(١) فهذه من مزايا وعطايا ربِّ البرايا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فاللهم لك الحمد حمدًا كثيرًا طيِّبًا مباركًا فيه.

قال الإمام ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إذا غُلِّقت في شهركم أبواب النِّيران، وفتِّحت أبواب الجنان، وصُفِّد فيه الملعون الشَّيطان؛ فأولىٰ أن لا يسكنكم مولاكم دار العقوبة والهوان، وأن يمنحكم بمنِّه وفضله دار الخلود والرِّضوان، كما فضلنا بشهر التَّجاوز والغفران، وهو الكريم المتفضِّل المنَّان» «بستان الواعظين» (ص٢٢٨).

الله- لا نسمعُ نداء هذا الدَّاعي في كلِّ ليلة إلَّا أنَّنا من ندائه علىٰ يقين؛ لأنَّ الَّذِي أخبرنا بوجود هذا النِّداء هو رسولنا الكريم ﷺ الَّذِي ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣﴾ [سُورَةُ النَّجْمِ]، إننا -عباد الله- علىٰ يقينٍ تام وثقةٍ جازمة بأنَّ لله عَزَّوَجَلَّ مناديا ينادي كلَّ ليلة، وقد جاء في بعض الروايات أنه ملَك من الملائكة ينادي بأمر الله، ينادي كلَّ ليلة من ليالي رمضان «**يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ**».

وتأمَّل هنا لتجد أنَّ ألوف النَّاس علىٰ قلبين:

- قلب يبغي الخير ويطلبه وينشده ويتحرك في طلبه، وإلىٰ هؤلاء يأتي النِّداء: «**يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ**»؛ فأنت في موسم الخيرات وَوَقْتُ المنافسة في فعل الطَّاعات والجِدِّ والاجتهاد في العبادات، فزِدْ تَحَرُّكًا ونشاطًا وإقبالاً علىٰ طاعة الله جَلَّوَعَلَا؛ «**يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ**».

- وقلبٌ آخر -عباد الله- الشَّرُّ فيه متحرّك والإقبال فيه علىٰ الشَّر متهيِّج، وإلىٰ هذا الصِّنف من النَّاس يأتي النداء: «**يَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ**»؛ أمسك عن الشر وامنع نفسك عنه وعن أبوابه فإنَّك

في وقت فضيل وفي موسمٍ عظيم، فلا أقلَّ مِنْ أَنْ تكون في هذا الشَّهر مانعًا لنفسك وحاجزاً لها عن الوقوع في المحرمات وغَشَيان النَّواهي والممنوعات، «**يَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِر**» نداء يتكرَّر كلَّ ليلة مِنْ ليالي رمضان.

فَمَا حظُّنا -عباد الله- من الاستجابة لهذين النداءين؟ نداء الخير والإقبال عليه، ونداء التَّحذير من الشَّر و الانكفاف عنه.

وهنا -عباد الله- لابدَّ من وقفة في بيان أحوال النَّاس مع الاستجابة إلىٰ هذا النِّداء الكريم والدَّاعي العظيم إلىٰ رضوان الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ والجنَّة:

- هناك صنف مِنَ النَّاس وفَّقَهم الله جَلَّ وَعَلَا وأخذ بنواصيهم إلىٰ الخير، فقلوبهم علىٰ الخير مقبِلة وأوقاتهم في الطاعات عامرة بين ذكرٍ لله وصيامٍ وقيامٍ وتلاوةٍ للقرآن وعيادةٍ للمرضىٰ أو صلةٍ للأرحام أو غير ذلك من أبواب الخير المتنوعة وسبله العديدة.

- وصنف آخر مِنَ النَّاس أَسَرتْهم نفوسهم، وقيَّدتهم شهواتهم، وكبَّلهم تتبعهم لحظوظ نَفْسهم، فَهُم عن الخير غافلون، وعلىٰ الشر مقبِلون؛ وهذه مصيبة عظمىٰ تمرُّ هذه اللَّيالي الكريمة

والمواسم الفَضِيلة والقلب لا يتحرك للخير ولا يطلبه ويكون في غاية الانصراف عنه والإقبال علىٰ الشر وسبله عياذاً بالله.

وهنا -عباد الله- تأتي نداءات شرٍّ تصرف النَّاس عن الخير وتصدهم عن أبوابه وسبله، وإنَّ من أعظمها نكايةً وأشدَّها خطرًا وأعظمها أثراً وبلاءً: تلك القنوات الفضائية العاهرة الفاجرة[١] الَّتِي يتبارىٰ أربابها ويتنافس أصحابها في هذا الموسم العظيم والشهر الفضيل في اصطياد المغفَّلين من أبناء المسلمين لصدِّهم عن الخير وشغْلهم في اللهو والباطل، ومن عجيب مكر أولئك -عباد الله- أنَّهم جعلوا لأفلامهم السَّاقطة ورقصاتهم الآسِنة ومسلسلاتهم الرَّدِيئة جعلوا لهم شعاراً يتَّصل برمضان، فمنهم من يقول: «جرِّب الإفطار معنا»، ومنهم من يقول: «معنا جرِّب رمضان»، ونحو ذلك من النِّدَاءات والدَّعوات الآثمة ليُقبِل النَّاس بعد الإفطار علىٰ موائد الإثم والرّذيلة ومجالات السُّفول والانحطاط، كيف يليق بمسلم صام علىٰ طاعة الله أن يفطر علىٰ الإثم والعصيان ومشاهدة الإثم والحرام؟!

(١) ولشيخنا عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظه الله مقال نافع بعنوان: «خطر القنوات الفضائية»، ضمن «الفوائد المنثورة» (ص ١١٢).

ماذا تصنع تلك الأفلام وتلك المشاهد المشينة في قلوب من يشاهدها ونفوس من يطالعها؟!

أتحرك في قلوبهم قيام الليل؟!

أتدعوهم إلىٰ الصِّيَام والقيام والطاعة وتلاوة القرآن؟!

أم أنَّها تهيِّج في نفوسهم حبَّ الشر والفساد والبحث عن أماكن الرَّذيلة والكساد.

قال الله تعالىٰ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [سُورَةُ النُّورِ].

عباد الله: وصنف آخر من الناس لا يعرفون في ليالي رمضان إلَّا جلوس مجالس الغِيبة والنَّميمة والسُّخريَّة والاستهزاء والتَّهكُّم بالنَّاس ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [سُورَةُ الْحُجُرَاتِ].

أوقاتٌ فاضلةٌ تُهدر ومواسم عظيمة تُضيَّع، وآخر مِنَ النَّاس -عباد الله- لا يعرفون في هذه الليالي الفاضلة إلَّا اللعب

والبَطالَة والتسكُّع في الشَّوارع والذَّهاب إلىٰ الأسواق لمشاهدة النِّساء والاحتكاك بهن وفعل ما يسخط الله عَزَّوَجَلَّ، أهكذا ليالي رمضان؟!

ولهذا -عباد الله- ينبغي علينا أجمعين أنْ نكرِّر هذا النِّداء في أذهاننا وأن نديره في خيالنا «**يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِر**»؛ إن قصُرت نفسك أيَّها المؤمن عن فعل الخيرات والإقبال علىٰ الطاعات والمنافسة في العبادات فلا أقلَّ من أن تقصر نفسك عن الشَّر وأن تمنعها من الوقوع فيه وأن تحول بينها وبينه مستعينـاً بالله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ معتمداً عليه جَلَّوَعَلَا.

عباد الله: ثم قال ﷺ: «**وَلِلَّهِ عُتَقَاءُ مِنْ النَّارِ وَذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ**»، وجاء في حديث آخر رواه ابن ماجة في «سننه» أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «**إِنَّ لِلَّهِ عِنْدَ كُلِّ فِطْرٍ عُتَقَاءَ وَذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ**»(١)؛ وتأمَّل

(١) برقم: (١٦٤٣).

ورحم الله الإمام ابن رجب لمَّا قال: «هذا عباد الله ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ و في بقيَّته للعابدين مستمتع، و هذا كتاب الله يتلىٰ فيه بين أظهركم و يُسْمع، و هو القرآن الَّذي لو أُنزل علىٰ جبل لرأيته خاشعًا يتصدَّع، و مع هذا فلا قلب يخشع و لا عين تدمع، و لا صيام يصان عن الحرام فينفع، و لا قيام استقام فيرجىٰ في صاحبه أَنْ يشفع، قلوب خلت مِنَ التَّقوىٰ فهي خراب بلقع، و تراكمت عليها ظلمة الذنوب فهي لا

هذا -رعاك الله- عند كلِّ إفطار من هذه الطَّاعة العظيمة والعبادة الجليلة يعتق الله عَزَّوَجَلَّ رقاباً من النار في كلِّ ليلةٍ من ليالي رمضان، وهنا يسأل المؤمن نفسه: أقلبي يتحرك شوقاً وطمعا ورغبةً في أن أكون من هؤلاء الذين يعتق الله عَزَّوَجَلَّ رقابهم من النار في ليالي رمضان الفاضلة؟

أأكون من هؤلاء أم أنِّي لَا حظَّ لي ولا نصيب من ذلك؟

علينا -عباد الله- أنْ نتأمَّل في هذا المقام العظيم والملحظ الشَّريف، ولنحرِّك في قلوبنا حبَّ ذلك بأنْ نكون عتقاء الله عَزَّوَجَلَّ من النَّار.

والله تعالىٰ أعلم، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

تبصر و لا تسمع، كم تتلىٰ علينا آيات القرآن و قلوبنا كالحجارة أو أشد قسوة؟!
و كم يتوالىٰ علينا شهر رمضان و حالنا فيه كحال أهل الشقوة؟! لا الشاب منا ينتهي عن الصبوة! و لا الشيخ ينزجر عن القبيح فيلتحق بالصفوة!
أين نحن من قوم إذا سمعوا داعي الله أجابوا الدَّعوة؟! و إذا تليت عليهم آيات الله جَلَتْ قلوبهم جلوة؟! وإذا صاموا صامت منه الألسنة و الأسماع و الأبصار أفما لنا فيهم أسوة؟!..كلما حسنت منا الأقوال ساءت الأعمال، فلا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم، و حسبنا الله» «لطائف المعارف» (ص٢٣٩).

رمضان شهر الصّبر

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فَلَا مُضلَّ له، ومنْ يضلل فلا هادي له، وأشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهدُ أنَّ محمَّداً عبده ورسوله، صلَّىٰ الله وسلَّم عليه وعَلَىٰ آله وصحبه أجمعين.

أمَّا بعد:

أيُّها المؤمنون: اتَّقُوا الله تعالىٰ، وراقبوه جلَّ في علاه في السرِّ والعلانية والغيب والشَّهادة مراقبة مَنْ يعلم أنَّ ربَّه يسمعُه ويراه.

وتقوىٰ الله جَلَّ وَعَلَا: عملٌ بطاعة الله علىٰ نورٍ من الله رجاء ثواب الله، وتركٌ لمعصية الله علىٰ نورٍ من الله خيفة عذاب الله[1].

(١) قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كما قال طلق بن حبيب: إذا وقعت الفتنة فأطفئوها بالتقوىٰ، قالوا: وما التقوىٰ؟
قال: أنْ تعمل بطاعة الله علىٰ نور مِنَ الله، ترجوا ثواب الله، وأنْ تترك معصية الله علىٰ نور مِنَ الله، تخاف عقاب الله.

أيُّها المؤمنون عباد الله: ما أعظم هذه العبادة وما أجلَّ شأنها؛ عبادة الصِّيَام الَّتي افترضها الله جَلَّ وَعَلَا علىٰ عباده في هذا الشَّهر المبارك، وكم لهذه العبادة من الآثار المباركة، والفوائد العظيمة، والخيرات المتنوعة الَّتي يجنيها الصَّائمون في دنياهم وأخراهم.

أيُّها المؤمنون: إنَّ هذه العبادة «عبادة الصِّيام» لها شأنٌ عظيم في تهذيب النُّفوس، وتقويم السُّلوك، وتقوية الإيمان، وإقامة النَّفس علىٰ طاعة الرَّحمن، والبُعد بها عن رعوناتها وسفهها وغيِّها؛ فكم له من الآثار، وكم له من الثِّمار ولاسيمَا -عباد الله- لمن وفَّقه الله تعالىٰ لتكميل صيامه وتتميمه.

أيُّها المؤمنون: وهذه وقفةٌ مع درسٍ عظيم مِنْ دروس الصِّيام في عِظم أثره وكبير عائدته علىٰ الصَّائمين في تهذيب سلوكهم وإقامة نفوسهم علىٰ الطَّاعة وزمِّها بزمام الشَّرع؛ روىٰ الإمام أحمد في «مسنده» عن أبي قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**صَوْمُ شَهْرِ الصَّبْرِ وَثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ صَوْمُ الدَّهْرِ**»(١).

وهذا أحسن ما قيل في حَدِّ التَّقوىٰ «الرِّسالة التبوكيَّة» (ص١٠).

(١) رواه أحمد (٧٥٧٧)، والنَّسائي (٢٤٠٨)، وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٧١٨).

وروىٰ البزَّار في «مسنده» عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**صَوْمُ شَهْرِ الصَّبْرِ وَثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ يَذْهَبْنَ بِوَحَرِ الصَّدْرِ**»[١] أي: غِلِّه وحقدَه وحسدَه.

وروىٰ النَّسائي عن الباهلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال له: «**صُمْ شَهْرَ الصَّبْرِ وَثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنَ الشَّهْرِ**»[٢].

أيُّها المؤمنون: تأمَّلوا في هذه الأحاديث كيف وصف النَّبيُّ ﷺ شهر رمضان بأنَّه شهر الصَّبر؛ وذلك -عباد الله- لما في عبوديَّة الصِّيام من تحقيقٍ للصَّبر، بل إنَّ الصِّيام نفسه صبرٌ بمعاني الصَّبر الثلاثة، فهو صبرٌ علىٰ طاعة الله، وصبرٌ عن معصية الله، وصبرٌ علىٰ أقدار الله المؤلمة؛ وهذه المعاني الثَّلاثة للصَّبر جميعها مجتمعة في عبوديَّة الصِّيام[٣]؛ فالصِّيام -يا معاشر المؤمنين- صَبرٌ تتهذَّب فيه النُّفوس، ويستقيم فيه السُّلوك، ويصلح فيه الحال والعمل.

---

(١) رواه البزَّار (٦٨٨)، وقال الألباني: في «صحيح التَّرغيب» (١٠٣٢) حسن صحيح.

(٢) رواه النسائي في «السُّنن الكُبرىٰ» (٢٧٥٦).

(٣) بعض أهل العلم يعبِّر عن أنواع الصَّبر: الصَّبر علىٰ المأمور، الصَّبر علىٰ المَحْظور، والصَّبر علىٰ المقدور «عدة الصابرين» (ص٣٨).

نَعَمْ -عباد الله-؛ ولهذا فإنَّ الصَّائم لابدَّ أن يكون في جهادٍ مع نفسه لتكميل صيامه وتَتَميمه لينال تلك الفوائد وليحصل تلك العوائد.

وأمَّا إذا فرَّط في هذا التَّتميم والتَّكميل خرج بدون عائدة ومضىٰ في صيامه بدون فائدة، فقد قال النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ**»(١).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**رُبَّ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلاَّ الْجُوعُ، وَرُبَّ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلاَّ السَّهَرُ**»(٢).

وفي هذا المعنىٰ أحاديث كثيرة عن رسول الله ﷺ.

---

(١) رواه البخاري (١٩٠٣).

(٢) رواه ابن ماجه (١٦٩٠)، وأحمد (٩٦٨٥)، وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٤٨٨).

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالصَّوم هو صوم الجوارح عَنْ الآثام، وصوم البطن عَن الشَّراب والطَّعام؛ فكما أنَّ الطَّعام والشَّراب يقطعه ويفسده، فهكذا الآثام تقطع ثوابه وتفسد ثمرته، فتُصَيِّره بمنزلة مَنْ لم يصم» «الوابل الصيب» (ص٤٣).

ولهذا -عباد الله- ينبغي أن نعلم أنَّ الصيام صبر، ومن لم يكن له صبر في صيامه لم يستفد من درس الصِّيام وعبرته العظيمة ولم يحقِّق ما يُرجىٰ مِنَ الصِّيام من آثار وثمار، يقول الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾ [سُورَةُ البَقَرَةِ].

أيُّها المؤمنون: ولهذا فسَّر بعض السلف قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ٤٥﴾ [سُورَةُ البَقَرَةِ] بأنَّ الصَّبر هو الصِّيَام[1]، وفسَّر بعض السَّلف قول النبي ﷺ: «وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ»[2] بأنَّ الصَّبر هنا هو الصِّيام؛ وهذا التَّفسير في الآية ليس تفسيرًا بالمطابق للمعنىٰ، وإنَّما هو تفسير بفردٍ من أفراده، فما من شك أنَّ الصِّيام صبر، وما من شك أنَّ الصِّيام ضياء لصاحبه، ولكن إنَّما يكون ذلك إذَا تمَّمَ صيامه وكمَّله.

أيُّها المؤمنون: جدير بكلِّ مؤمن أن يُعنىٰ بهذه العبادة «عبادة

(١) روىٰ ابن أبي حاتم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تفسيره» (٤٨٠) عن مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال عن هذه الآية: «الصَّبرُ الصِّيام».

(٢) رواه مسلم (٢٢٣).

الصيام» تتميمًا وتكميلا، وكم هو قبيح بالمرء المسلم أنْ يصومَ نهار رمضان عنْ الطَّعام والشَّراب والمنكح ثم إذا جاء وقت الإفطار أفطر علىٰ المعصية والمأثم عياذًا بالله؛ ولاسيما -عباد الله- أنَّ النَّاس في هذا الزَّمان مستهدفون في عباداتهم وفي صيامهم وفي عموم طاعاتهم من قبل أعداء الدِّين وخصوم الشَّريعة، ولاسيما -عباد الله- من خلال القنوات الفضائيَّة ومواقع الانترنت الَّتِي تعبثُ بالعقول عبثًا عظيمًا وبخاصة في شهر رمضان.

وإذا كانت الشَّياطين تُصفَّد في هذا الشَّهر فإنَّ هؤلاء ينطلقون انطلاقةً كبيرة صَدًّا عن دين الله وحرفًا للنَّاشئة والشَّباب عن طاعة الله مِنْ خلال ما يُبَثُّ ويشاهدُ ويُقدَّم في تلك القنوات، ولهذا لابدَّ من الصِّيام، ولابدَّ من الصَّبر، ولابدَّ مِنَ المحاسبة للنَّفس، ولابدَّ مِنْ زمِّها بزمام الشَّرع حتَّىٰ يكون الصِّيام مُثمرًا وحتَّىٰ تكون العوائد كثيرة والفوائد متنوعَّة، لَا أَنْ يُضيَّع صيام المرء مِنْ خلال عبث هؤلاء ومكرهم ودسهم.

كفَىٰ الله شبابنا وناشئة المسلمين شر الأشرار وكيد الفجَّار بمنِّه وكرمه.

أيُّها المؤمنون: لنجاهد أنفسنا علىٰ تكميل صيامنا وتتميم عبادتنا فإنَّ الله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾ [سُورَةُ العَنكَبُوتِ].

أيُّها المؤمنون: وفي قول نبيِّنَا ﷺ: «يَذْهَبْنَ بِوَحَرِ الصَّدْرِ» -أي صيام شهر الصبر وثلاثة أيام من كل شهر- فائدة عظيمة جليلة القدر ينبغي علىٰ الصَّائم أَنْ يتفطَّن لها أَلَا وهي عِبَاد الله: أنَّ الصِّيام ولاسيما صيام رمضان وهو صيام فريضة يعدُّ مدرسةً عظيمة تربوية لتهذيب السُّلوك وإصلاح النَّفس، فهي فرصةٌ ثمينةٌ لا تعوَّض أَنْ يعالج المرء نفسه من خلال عبادة الصِّيام؛ وذلك بالعمل علىٰ تنقية قلبه من دسائس القلوب وأحقادها وأضغانها وخباياها مِنَ الأعمال القبيحة والأمور السَّيِّئَة والسخائم الشنيعة التي تنطوي عليها القلوب.

ولهذا عباد الله: إنَّها لفرصة عظيمة أن يداوي المرء نفسه في إصلاح قلبِه بإخراج الأحقاد والحسد والضغائن ونحو ذلك من الأعمال القبيحة الَّتِي قد تنطوي عليها القلوب وربما تمتلأ بها كثير مِنَ النُّفوس، ففرصةٌ عظيمة من خلال عبوديَّة الصِّيام فرضها

ونفلها أن يذهب ما في قلب المرء من وحر الصَّدر غِلًّا وحقدًا وحسدًا وغير ذلك، وإن لم تذهب هذه الأشياء وأحس المرء ببقائها في نفسه فليعلم أن في صيامه دخن.

والله تعالىٰ أعلم، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

مِنْ صِفَاتِ

الزَّوْجَةِ الصَّالِحَة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمَّدًا عبده ورسوله، صلَّىٰ الله وسلَّم عليه وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين، أمَّا بعد:

فأسأل الله جَلَّوَعَلَا لي ولكم جميعًا التوفيق والسداد والهداية والرَّشاد، وأن يمنَّ علينا بالعلم النَّافع والعمل الصالح، وأن يعلِّمنا ما ينفعنا وأن ينفعنا بما علَّمنا وأن يزيدنا علمًا إنه تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ سميع الدعاء وهو أهل الرَّجاء وهو حسبنا ونعم الوكيل.

ثمّ إنَّ موضوع هٰذه المطوية التي هي بعنوان: «**مِنْ صِفَاتِ الزَّوْجَةِ الصَّالِحَةِ**» ليس الكلام والخطاب فيها مختصا بالشابة المقبِلة علىٰ الزَّواج الرَّاغبة في معرفة صفات الزَّوجة لتتحلَّىٰ بها ولتهيِّئ نفسها لتحقيقها وتتميمها وتكميلها، وليس أيضًا مختصًّا

بالمرأة المتزوِّجة التي قد أحبّت لنفسها صفات الزَّوجة الصالحة لتحافظ عليها ولتحققها في حياتها، كما أنه ليس مختصًّا بالمرأة المقصِّرة لعلاج ما عندها من تقصير وتذكيرها بجوانب النَّقص لتتدارك أمْرها وحياتها الزَّوجية الكريمة؛ بل إنَّه خطابٌ وتذكرةٌ أعمّ من هٰذا كله؛ فهو تذكرةٌ للأب الذي يُريد لبناته ومن تحت يده نشأةً طيِّبةً وحياةً كريمةً ودخولًا للحياة الزّوجية علىٰ وفق مراد الله ومراد رسوله ﷺ، لتكون عونًا له ليذكِّرهن بالضَّوابط الشَّرعية والصِّفات المرعية التي ينبغي علىٰ الفتاة أن تنشأ عليها، وتَذْكِرةٌ للأم وهي راعية في بيتها ومسؤولةٌ عن بناتها، وموجِّهةٌ لهنَّ، وكثيرٌ من البنات ينشأن علىٰ أنواع من الأخلاق والصِّفات اكتسبنها من الأم، وهو تَذكِرةٌ كذٰلك للدُّعاة للعناية بهٰذا الأمر والاهتمام به، والسَّعي في نشر هٰذه الصِّفات الفاضلة والأخلاق الحميدة والخلال المباركة لتكون صفاتٍ للبنات والنِّساء في مجتمع الإيمان وفي ديار المُؤمنين؛ لاسيَّما ونحن نعيش زمنًا غُزيت فيه المرأة غزوًا لم يحْصل لها في أيِّ فترة من فترات التَّاريخ السَّابقة، عبر مجالات عديدة وقنوات كثيرة ووسائل

متعدِّدة تهدف للإطاحة بعفّة المرأة وشرفها وكمالها وحِلْيتها وزينتها وإيمانها وأخلاقها وفضيلتها.

فهذه كلمات عن صفات الزوجة الصالحة، أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يكتب فيها خيرا ونفعا، وأن يجعلها مفتاح خير مغلاق شر، وأن يجعل فيها هداية للقلوب، وصلاحا للنفوس، وصلة برب العالمين، لتحقيق رضاه، ونيل محابه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ والبعد عما يسخطه ويغضبه جَلَّ وَعَلَا، فأقول وبالله أستعين:

وأول ما أبدأ به ما جاء في «سورة النساء» في ذكر صفات الزوجة الصالحة:

قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ﴾ [سُورَةُ النِّسَاءِ: ٣٤].

لقد أتىٰ هذا الجزء من الآية علىٰ مجامع الأمور في هذا الباب، واستوعب بدلالته وجمعه كل صفة فاضلة ونعت كريم للمرأة الصالحة، وهي مَنْ جَمَعَتْ بين صفتين:

- **الصفة الأولىٰ**: تتعلق بصلتها بربها، ففي قوله سبحانه: ﴿قَٰنِتَٰتٌ﴾، والقنوت هو المداومة علىٰ طاعة الله، والمحافظة

علىٰ عبادة الله، والالتزام بطاعة الله، والعناية بفرائض الإسلام وواجبات الدين، وعدم إهمالها وإضاعتها.

◄ **الصفة الثانية**: تتعلق بصلتها بزوجها، في قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ﴾، أي: حافظة لحق زوجها في الغيب، وكذلك في الشهادة، تحفظه في ماله، تحفظه في فراشه، تحفظه في حقوقه، تحفظه في واجباته.

ويدخل في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿قَٰنِتَٰتٞ﴾ حفظ المرأة لفرائض الإسلام وواجبات الدين.

وقد جاء في هذا المعنىٰ قول النبي ﷺ: «**إِذَا صَلَّتْ المَرْأَةُ خَمْسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَصَّنَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ بَعْلَهَا، دَخَلَتْ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الجَنَّةِ شَاءَتْ**»(١).

◄ **ثم من صفات الزوجة الصالحة**: الحذر من الشيطان الرجيم، والشيطان مهمته في هذه الحياة الإفساد: إفساد الدين، وإفساد الخلق، وإفساد المعاملة، وإفساد العشرة، وإفساد الأخوة،

(١) رواه ابن حبان في «صحيحه»(٤١٦٣)، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» (١٩٣١).

وإفساد كل ما هو خير، وفي كل يوم يَبْعَثُ بعوثا ويرسل جنودا للقيام بهذه المهام.

وتأمل معي هذا الحديث[١]، قال النبي ﷺ: «إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَىٰ الْمَاءِ ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ» أي: يرسل الجنود والبعوث للإفساد، «فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً» يعني: أقربهم إليه أعظمهم فتنة بين الناس، «يَجِيءُ أَحَدُهُمْ» يعني: أحد هؤلاء الجنود، «فَيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا، ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: مَا تَرَكْتُهُ حَتَّىٰ فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ، فَيُدْنِيهِ مِنْهُ» أي إبليس يدني هذا منه، «وَيَقُولُ نِعْمَ أَنْتَ»، قَالَ الأَعْمَشُ أُرَاهُ قَالَ «فَيَلْتَزِمُهُ» أي: يحتضنه ويقربه منه ويدنيه إذا فرق بين المرأة وزوجها.

هنا تحتاج الزَّوجة الصَّالحة أن تتفقَّه في هٰذا الباب وأن تَعِيَ هٰذه الحقيقة و كذلك زوجها، أن يعيَ كلُّ واحدٍ منهما أنّ ثَمة عدوًّا خفيًّا يراكَ ولا تراه ويجري منك مجرىٰ الدَّم من العروق؛ ينفث، يوسوس، يكيد، يمكر، كلُّ ذلك يمارسه وأنت لا تراه،

(١) رواه مسلم (٢٨١٣).

يُلقي في قلبك و قلبها الوساوس، و يُوقع الشُّكوك.. إلىٰ أن تقع العداوات، وله منافذ عديدة، ولهذا جاءت السّنة بالتحصين منه عند دخول البيت، وعند المعاشرة، وعند الطَّعام، وعند الغضب، في كلِّ أمر من الأمور يحتاج الإنسان إلىٰ التحصين من الشيطان لئلا يشاركه الشيطان في أهله وبيته وولده.

كما ينبغي أن نلاحظ ملاحظة مفيدة: أنّ هٰذا العدو الخفيّ الذي يراك ولا تراه صاحب خبرةٍ واسعة وصاحب تجارب عديدة، الآن عندما يتحدثون عن بعض الخبرات لدىٰ بعض الشركات فإن أطول خبرة قد تصل إلىٰ الخمسين أو الستين سنة؛ لٰكن خبرة إبليس في الإغواء والصدّ وحرف الناس وإيقاع العداوات خبرة آلاف السنوات، كم من الناس دخلوا الحفر ودُفنوا وكانوا من أسارىٰ دعوة الشَّيطان الرَّجيم، ومن آثار إفساده و إغوائه؛ ولهٰذا يحتاج البيتُ المسلمُ إلىٰ أن يحصِّن نفسه وأن يصونها وأن يُبعدَها من الشَّيطان الرَّجيم.

- **ومن صفات الزوجة الصالحة**: إدخال السرور علىٰ زوجها إذا نظر إليها في هيئتها، وفي منظرها، وفي شكلها، وفي لباسها،

وأن تكون معودة لنفسها علىٰ طاعته والاستجابة لأوامره بدون استنكاف أو استكبار أو تعال، وليتأمل في ذلك حديث النبي ﷺ، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَيُّ النِّسَاءِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «الَّتِي تَسُرُّهُ إِذَا نَظَرَ، وَتُطِيعُهُ إِذَا أَمَرَ، وَلاَ تُخَالِفُهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهَا بِمَا يَكْرَهُ»[١].

ومن الأمور المؤسفة أن كثيرا من النساء لا تعرف الزينة والتجمُّل إلَّا إذا أرادت أن تخرج من البيْت، وتغادره لحضور مناسبةٍ ما أو اجتماعٍ ما أو نحو ذلك، أمّا فيما يتعلق بحق الزَّوج إذا دخل فتلقاه بثياب رثَّةٍ، تلقاه برائحةٍ غير طيبة، تلقاه بشعر شعثٍ، و بصفاتٍ تصدُّه عنها وتقطع من رغبته فيها، ثم يفاجأ أنها في كلِّ مرة تريد أن تخرج من البيت تخرج بزينةٍ لا يحظَىٰ ولو بعُشرِها؛ فأيُّ رغبة تملأ قلب هـذا الزوج تجاه من هـذه صفتها؟! وأيُّ حبٍّ يكتنف جوانحه إذا كان هـذا شأنها معه؟

وجاء في صحيح مسلم[٢] من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ

(١) رواه النسائي في «سننه» (٣٢٣١)، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (١٨٣٨).
(٢) برقم: (٧١٥).

قال: «**إذا قدِم أحدكم ليلًا فلا يأتينَّ أهله طُروقًا**» يعني لا يفاجئهم في الليل؛ لماذا؟ قال: «**حَتَّىٰ تَسْتَحِدَّ الْمَغِيبَةُ وَتَمْتَشِطَ الشَّعِثَةُ**»، وهٰذا فيه لفتة كريمة للمرأة أنها هٰكذا ينبغي أن تلقىٰ زوجها؛ بكمال نظافتها وحسن هيئتها وجمال استعدادها ولاسيما إذا كان قدِم من غيبة أو من سفر، هٰذا أمر يتطلب منها استعدادا وتهيؤا حتىٰ في ترتِيب البيت وتهيئتِه.

كما جاء عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِنِسَائِكُم فِي الجَنَّة؟**» يعني الزَّوجة الّتي صارت أهلًا ومهيأة لأَن تكون من أهل الجنة بصفاتها الحميدة و خلالها المباركة، قال: «**كُلُّ وَدُودٍ وَلُودٍ، إِذَا غَضِبَتْ أَوْ أُسِيءَ إِلَيْهَا أَوْ غَضِبَ زَوْجُهَا قَالَتْ: هَـٰذِهِ يَدِي فِي يَدِكَ لَا أَكْتَحِلُ بِغَمْض حَتَّىٰ تَرْضَىٰ**»[1] يعني: لا أغمض عيني ولا أهنأ بنوم ولا تقرّ لي عين حتىٰ ترضىٰ عني، ومن المؤسف أن بعض النِّساء لا تبالي، ينام زوجها اللَّيلة و الاثنتين والثَّلاث والعشر والشهر وهو مغضب، و كأنّ الأمر لا يعنيها ! ولا كأنها ستلقىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ويحاسبها

(١) معجم الطبراني «الأوسط» (١٧٤٣)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣٣٨٠).

علىٰ هـٰذه الأمور وعلىٰ هـٰذه الأعمال.

◄ **ومن صفات الزوجة الصالحة:** ما جاء عن النبي ﷺ أنه قال: «**خَيْرُ نِسَائِكُمْ الوَدُود الوَلُود المُوَاتِيَة المُوَاسِيَة إِذَا اتَّقَيْنَ الله، وَشَرّ نِسَائِكُم المُتَبَرِّجَات المُتَخَيِّلَات وَهُنَّ المُنَافِقَات لَا يَدْخُل الجَنَّة مِنْهُنَّ إِلَّا مِثل الغُرَاب الأَعْصَم**»[(١)].

فانظر إلىٰ هذه الصفات للزوجة الصالحة:

«**الودود**»: وهذه صفة كريمة وخلة حميدة في المرأة الصالحة والزوجة المباركة، وهي المتصفة بالود وحسن التودد، وأحق الناس بذلك الزوج، فالتودد يكون بالكلام، ويكون بالهيئة، ويكون بالمظهر، ويكون بالعمل، ويكون بالخلق.

«**الولود**»: كثيرة الإنجاب، وهي صفة حميدة في المرأة، وهي من خير النساء، وقد قال النبي ﷺ: «**تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوَلُودَ؛ فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الأُمَمَ يوم القيامة**»[(٢)].

لكن إذا كانت المرأة مبتلاة بعلة أو مرض فهذا أمر لا يضرها؛

---

(١) رواه البيهقي في «سننه (٧/ ٨٢)»، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٨٤٩).

(٢) أخرجه أحمد (١٢٦١٣)، وصححه الألباني في «الإرواء» (١٧٨٤).

لأنه ليس أمرا قصرت فيه أو سعت هي في الإخلال به؛ فلا يحاسبها الله علىٰ ذلك ولا يضرها ذلك، ولا يتنافىٰ ذلك مع صلاحها.

«**المواتية**» أي: التي ليست فظة ولا غليظة، بل هي مواتية تسمع وتطيع وتستجيب ولا تستنكف ولا تستكبر ولا تستعلي علىٰ الزوج، ولا يكون منها نشوز أو تعال.

«**المواسية**» أي: التي تواسي زوجها وتقف إلىٰ جنبه، وتكون عونا له علىٰ الخير وعلىٰ طاعة الله، وعلىٰ ما فيه السعادة والفلاح.

«**إِذَا اتَّقَيْنَ اللَّهَ**» أي: أنّ هٰذه الصفات إنَّما تكون نافعة للمرأة إذا اتقت الله جَلَّ وَعَلَا، فلو كانت ودودًا ولودًا مواتيةً مواسية وهي تطلب بذٰلك أمر الدُّنيا ليست متّقية لله لم تُفِدها هٰذه الصفات ولم تنفعها، وإنَّما تكون هٰذه الصِّفات نافعة لها إذا اتصفت بها طلبًا لرضا الله جلَّ وعلا وسعيًا في تحقيق تقواه.

- **ومن صفات الزوجة الصالحة**: عدم التقصير في حقوق الزوج، وبذل الوسع والجهد في خدمته؛ وليتأمل في هذا الحديث: عن حصين بن محصن عن عمة له: أنها أتت رسول الله ﷺ لحاجة، فلما فرغ من حاجتها، قال: «**أَذَاتُ زَوْجٍ أَنْتِ؟**» قالت:

نعم؛ قال: «**فَكَيْفَ أَنْتِ لَهُ؟**» قالت: ما آلوه إلا ما أعجز عنه؛ قال: «**انْظُرِي أَيْنَ أَنْتِ مِنْهُ ! فَإِنَّهُ جَنَّتُك وَنَارُك**»[١].

متىٰ يكون الزَّوج لزوجته جنّةً؟ ومتىٰ يكون نارًا؟ هنا يجب علىٰ المرأة أن تَعيَ هٰذه الحقيقة، أن تَعيَ هٰذا الأمر الكبير «**أين أنتِ منه؟**»، عليك واجبات وأنتِ عبد لله، وثمّة جنة ونار، والله عَزَّوَجَلَّ أمَرَك و أوجَبَ عليكِ هٰذه الحقوق تجاه الزوج، قومي بها، أدِّيها علىٰ التمام والكمال طاعة لله وطلبا لرضاه سبحانه، أدِّي الذي عليك واسألي الله الذي لكِ «**فإنه جنَّتك ونارُك**».

- **ومن صفات الزوجة الصالحة**: عدم إرهاق الزوج بالنفقة، وألا تكون أداة في البيت للبذخ والإسراف وإضاعة مال الزوج بل تعتدل؛ ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ٦٧﴾ [سُورَةُ الفُرۡقَانِ].

- **ومن صفات الزوجة الصالحة**: عدم كفران المنعمين، أي: لا تكفر ما يسر الله تبارك وتعالىٰ لها من نعمة عن طريق زوجها،

(١) رواه النسائي في«السنن الكبرىٰ» (٨٩١٣)، ورواه أحمد (١٩٠٠٣)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٦١٣).

وفي الحديث: «لاَ يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لاَ يَشْكُرُ النَّاسَ»[١].

ومما جاء في هذا الباب عن أسماء ابنة يزيد الأنصارية قالت: مر بي النبي ﷺ وأنا في جوار أتراب لي فسلم علينا، وقال: «إِيَّاكُنَّ وَكُفْرَ الْمُنْعَمِين» فقلت: يا رسول الله وما كفر المنعمين؟ قال: «لَعَلَّ إِحْدَاكُنَّ تَطُولُ أَيْمَتها مِنْ أَبَوَيْهَا ثُمَّ يَرْزُقُهَا الله زَوْجًا وَيَرْزُقُهَا مِنْهُ وَلَدًا فَتَغْضَبُ الغَضْبَةَ؛ فَتَكْفُرُ فَتَقُول: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطّ»[٢].

قوله: «تطول أيمتها من أبويها» يعني: يتأخر زواجها.

◄ **ومن صفات الزوجة الصالحة**: احترام الزوج، ومعرفة قدره وحقه، عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «لَا آمُرُ أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ، وَلَوْأَمَرْتُ أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ لَأَمَرْتُ المَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا»[٣].

---

(١) أخرجه أحمد (٧٩٣٩)، وأبو داود (٤٨١١)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٨٢٣).

(٢) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (١٠٤٨)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٨٢٣).

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١/ ٣٥٦)، وصححه الألباني في «الصحيحة»

ويتضاعف حق الزوج إن كان رجلا من أهل الصلاح والتقىٰ والديانة والمحافظة علىٰ عبادة الله والرعاية لطاعته؛ فعن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لاَ تُؤْذِي امْرَأَةٌ زَوْجَهَا فِي الدُّنْيَا إِلاَّ قَالَتْ زَوْجَتُهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ لاَ تُؤْذِيهِ قَاتَلَكِ اللَّهُ فَإِنَّمَا هُوعِنْدَكِ دَخِيلٌ يُوشِكُ أَنْ يُفَارِقَكِ إِلَيْنَا**»(١).

قال أهل العلم: في الحديث إنذار شديد للنساء المؤذيات لأزواجهن.

- **ومن صفات الزوجة الصالحة**: إذا من الله عَزَّوَجَلَّ عليها وأكرمها بالأولاد أن تعدل بينهم، كما قال ﷺ: «**اعْدِلُوا بَيْنَ أولاَدِكُمْ اعْدِلُوا بَيْنَ أَبْنَائِكُمْ**»(٢).

- **ومن صفات الزوجة الصالحة**: أن تقر في بيتها، وألا تكون خراجة ولاجة، وإذا خرجت لا تخرج إلا لحاجة، ولا تكون متبرجة سافرة، وأيضا تكون غاضة لبصرها، حافظة لفرجها، وقد

(٣٤٩٠).

(١) سنن الترمذي (١١٧٤)، وسنن ابن ماجة (٢٠١٤)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٧٣).

(٢) رواه أبو داود (٣٥٤٤)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٢٤٠).

مر معنا في هذا بعض النصوص، ومما ورد في هذا عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه عن رسول الله ﷺ قال: «**المَرْأَةُ عَوْرَةٌ، وَإِنَّهَا إِذَا خَرَجَتْ اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَان ـ أي: جعلها غرضا له ـ وَإِنَّهَا لَا تَكُونُ أَقْرَبَ إِلَىٰ الله مِنْهَا فِي قعْر بَيْتِهَا**»(١).

➤ **ومن صفات الزوجة الصالحة**: عدم إفشاء سر الزوج والأمور الخاصة بين الزوجين حتىٰ لو وقع بينهما فرقة ولم يتحقق وئام، فكل منهما عليه أن يتقي الله عز وجل في هذا الأمر.

فعن أسماء بنت يزيد: أنها كانت عند رسول الله ﷺ والرجال والنساء قعود عنده فقال: «**لَعَلَّ رَجُلًا يَقُولُ مَا يَفْعَلُ بِأَهْلِهِ، وَلَعَلَّ امْرَأَةً تُخْبِرُ بِمَا فَعَلَتْ مَعَ زَوْجِهَا، فَأَرَمَّ الْقَوْمُ**(٢) **فَقُلْتُ: إِي وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُنَّ لَيَقُلْنَ وَإِنَّهُمْ لَيَفْعَلُونَ قَالَ فَلَا تَفْعَلُوا فَإِنَّمَا ذَلِكَ مِثْلُ الشَّيْطَانِ لَقِيَ شَيْطَانَةً فِي طَرِيقٍ فَغَشِيَهَا وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ**»(٣).

فقوله ﷺ: «**فَإِنَّمَا ذَلِكَ مِثْلُ الشَّيْطَانِ لَقِيَ شَيْطَانَةً فِي طَرِيقٍ**

---

(١) رواه الطبراني في «الأوسط» (٢٨٩٠ و٨٠٩٦)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٦٨٨).

(٢) أي سكتوا.

(٣) رواه الإمام أحمد (٢٧٥٨٣)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٢٠٢٢).

فَغَشِيَهَا وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ» يعني: المرأة التي بهذه الصفة والرجل الذي بهذه الصفة يفشي الأسرار الزوجية مثلهما مثل الشيطان لقي شيطانة في الطريق وغشيها والناس ينظرون.

هذه بعض صفات الزوجة الصالحة جمعتها من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ ومن سنة النبي الكريم ﷺ راجيا الرب سبحانه أن ينفع بها من شاء من عباده فهووحده ولي التوفيق.

فَضْلُ
عشر ذي الحجة
وأحكام الأضحية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إنَّ الحمد لله، نَحمدُه ونستعينُه ونستغفره ونَتوب إليه، ونَعوذُ بالله مِنْ شُرُور أنفسنا وسَيِّئَات أعمالنا، مَنْ يهده الله فَلَا مُضِلَّ له، وَمَنْ يُضلل فَلَا هَادِي له، وأشهدُ أَنْ لا إله إِلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، وأَمِينه علىٰ وَحْيه، ومبلِّغ النَّاس شرعَه، ما ترك خيراً إلا دلَّ الأمَّة عليه، ولا شراً إِلَّا حذَّرها مِنْه؛ فَصَلَوات الله وسلامُه عليه وَعَلىٰ آله وَصَحْبه أجمعين.

أمَّا بَعْدُ:

عباد الله: اعلموا رحمكم الله أَنَّنَا نستقبلُ أياماً فاضلة جاء في فضلها والتَّنْوِيه بشأنها نصوص عديدة عن رسول الله ﷺ؛ مِنْهَا ما رواه الإمام البخاري وغيره عَنْ ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا الْعَمَلُ فِي أَيَّامِ الْعَشْرِ أَفْضَلَ مِنَ الْعَمَلِ فِي هَذِهِ».

قَالُوا: وَلاَ الْجِهَادُ؟

قَالَ: «وَلاَ الْجِهَادُ، إِلاَّ رَجُلٌ خَرَجَ يُخَاطِرُ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ بِشَيءٍ»[١].

إنَّها أَيَّام فاضلة عظيمة يَنْبَغِي علىٰ المُسلم أَنْ يقْدُرها قَدْرَها وأَنْ يحرصَ عَلَىٰ طَاعة الله فِيهَا فَإِنَّها خير أَيَّام الله[٢]، وفي هذه الأَيَّام يوم عرفة الَّذي هُو مِنْ خير أَيَّام السَّنَة.

عباد الله وَفِي هذه الأَيَّام تجتمع أُمَّهات العبادات وهي: الصَّلاة، والصِّيام، والصَّدقة، والحج، وَلَا تَجْتَمِع هذه الطَّاعات إِلَّا في مِثْل هَذِه الأَيَّام المُبَاركة.

وَيُسْتَحَبُّ للمسلم في هذه الأَيَّام أَنْ يُكْثِر مِنْ طاعة الله، وَأَنْ يحَافِظَ علىٰ عِبَادَة الله، وَأَنْ يُكْثِر مِنْ ذِكْر الله، وَأَنْ يُكْثِر مِنْ بَذْل الخَير وَالإِحْسَان مِنْ بِرِّ الوَالدين وَصِلَةِ الأَرْحَام، وَتِلَاوَة القرآن وَذِكْر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إِلَىٰ غَيْر ذَلِك مِنَ الأَعمال المُبَاركة المُقَرِّبَة إِلىٰ الله جَلَّ وَعَلَا.

---

(١) برقم (٩٦٩).

(٢) عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَفْضَلُ أَيَّامِ الدُّنْيَا أَيَّامُ الْعَشْرِ» رواه البزار (١١٢٨)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١١٣٣).

أَيُّهَا المؤمنون عباد الله: إنَّ مِنْ نعمة الله العظيمة علىٰ أهل البُلْدَان في بلدانهم أَنْ يسَّر لهم الله جَلَّ فِي عُلَاه أَنْ يُشَارِكُوا حجَّاج بيت الله في شعيرة عظيمة وطاعة جليلة تكون في يوم النَّحر وفي أيَّام التشريق الثَّلاثة؛ فإنَّ الحجاج -أيها المؤمنون- يتقرَّبُون إلىٰ الله في تلك الأيَّام بنحر الهدايا، والمسلمون في البلدان يتقرَّبون إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ بذبح الضَّحايا.

أيها المؤمنون عباد الله: ولهذه المُشَارَكة العظيمة جاء في حديث أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنَّ النَّبي ﷺ قال: «**إِذَا دَخَلَتِ الْعَشْرُ وَأَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يُضَحِّيَ فَلَا يَمَسَّ مِنْ شَعَرِهِ وَبَشَرِهِ شَيْئًا**»[1]، وفي رواية «**فَلْيُمْسِكْ عَنْ شَعْرِهِ وَأَظْفَارِهِ**»؛ وهذه -عباد الله- أيضا مشاركة مِنْ أهل البلدان لحجاج بيت الله الحرام؛ فالحاج عندما يُهِلُّ بالنُّسُك يكون عليه مِنْ مَحْظُورَات الإحرام أَنْ يَأْخُذ مِنْ شَعْرِه وبَشَره شيئا، وهكذا المُضَحِّي؛ أي: مَنْ أرادَ أَنْ يُضَحِّي، ولا يشمل الحكم أهله وولده وإنَّما يخص مَنْ أراد أَنْ يُضَحِّي بأن لَا يأخذ مِن شعره وبشَره شيئا.

(١) رواه مسلم (١٩٧٧).

وهذا الحكم عباد الله للتَّحْريم، وقد جُمع في هذا الحديث في روايتيه بين النهي والأمر، والأصل في الأمر الوجوب، والأصل في النهي التَّحريم؛ ولهذا -عباد الله- فَلْيَتَنَبَّه كُلُّ مَنْ أَرَاد أَنْ يُضَحِّي فَلَا يأخذ من شعره وأظفاره شيئًا حتَّىٰ يذبحَ أُضْحِيَّته.

أيها المؤمنون عباد الله: إِنَّ مِنَ القُرَب العظيمة والطَّاعات الجليلة التقرب إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ بذبح الضحايا وإراقة دماء بهيمة الأنعام طاعةً لله وطلبًا لرضاه وتحقيقًا لتقواه[1]، والله جَلَّوَعَلَا يقول: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾ [سُورَةُ الحَجِّ: ٣٧].

وإقامة هذه الشعيرة علامةٌ من علامات تقوىٰ القلوب لله عَزَّوَجَلَّ وذلك في حق المُسْتَطِيع، قال الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَأَجَلُّ الْعِبَادَاتِ الْمَالِيَّةِ النَّحْرُ، وَأَجَلُّ الْعِبَادَاتِ الْبَدَنِيَّةِ الصَّلَاةُ، وَمَا يَجْتَمِعُ لِلْعَبْدِ فِي الصَّلَاةِ لَا يَجْتَمِعُ لَهُ فِي غَيْرِهَا مِنْ سَائِرِ الْعِبَادَاتِ كَمَا عَرَفَهُ أَرْبَابُ الْقُلُوبِ الْحَيَّةِ وَأَصْحَابُ الْهِمَمِ الْعَالِيَةِ وَمَا يَجْتَمِعُ لَهُ فِي نَحْرِهِ مِنْ إيثَارِ اللَّهِ وَحُسْنِ الظَّنِّ بِهِ وَقُوَّةِ الْيَقِينِ وَالْوُثُوقِ بِمَا فِي يَدِ اللَّهِ أَمْرٌ عَجِيبٌ إذَا قَارَنَ ذَلِكَ الْإِيمَانَ وَالْإِخْلَاصَ وَقَدْ امْتَثَلَ النَّبِيُّ ﷺ أَمْرَ رَبِّهِ فَكَانَ كَثِيرَ الصَّلَاةِ لِرَبِّهِ كَثِيرَ النَّحْرِ حَتَّىٰ نَحَرَ بِيَدِهِ فِي حِجَّةِ الْوَدَاعِ ثَلَاثًا وَسِتِّينَ بَدَنَةً وَكَانَ يَنْحَرُ فِي الْأَعْيَادِ وَغَيْرِهَا» «مجموع الفتاوىٰ» (١٦/ ٥٣٢).

يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ [سُورَةُ الْحَجِّ].

والأصلُ في مشروعيتها - أيها المؤمنون - كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإجماع المسلمين، قال الله تعالىٰ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾﴾ [سُورَةُ الْكَوْثَرِ]، وقال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [سُورَةُ الْأَنْعَامِ]، والنُّسك: الذَّبح.

وفي الصَّحيحين مِنْ حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «ضَحَّىٰ النَّبِيُّ ﷺ بِكَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ[١] أَقْرَنَيْنِ، ذَبَحَهُمَا بِيَدِهِ، وَسَمَّىٰ وَكَبَّرَ، وَوَضَعَ رِجْلَهُ عَلَىٰ صِفَاحِهِمَا»[٢].

وفي الترمذي [٣] وحسَّنه من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «أَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالمَدِينَةِ عَشْرَ سِنِينَ يُضَحِّي».

وفي الترمذي [٤] كذلك عَنْ أبي أيوب الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:

---

(١) «الأملح: الذي بياضه أكثر من سواده، وقيل: هو النقي البياض» «النهاية في غريب الحديث والأثر»(ص١١٤٩).

(٢) رواه البخاري (٥٥٦٥)، ومسلم (١٩٦٦).

(٣) برقم (١٥٠٧).

(٤) برقم (١٥٠٥).

«كَانَ الرَّجُلُ يُضَحِّي بِالشَّاةِ عَنْهُ وَعَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ فَيَأْكُلُونَ وَيُطْعِمُونَ».

والأحاديث في هذا الباب كثيرة عديدة.

والأُضْحِية -أيها المؤمنون- سُنَّة مُؤَكَّدة في قول جمهور أهل العلم[١]، وَمِن أهل العلم من أوجبها[٢] في حقِّ المستطيع علىٰ ذلك، وهي نسك عظيم وشعيرة جليلة من شعائر الإسلام تُقدَّم ويُتقرب إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ بها في وقتها وهو يوم النحر بعد صلاة العيد وفي أيام التشريق الثلاثة إلىٰ غروب الشمس من اليوم الثالث؛ وهذا وَقْتُها -عباد الله- فَمَنْ ذَبَحَها قبل الوقت أو ذبحها بعد الوقت فإنَّها تكون شاةً له ولأهله ولا تكون أُضْحِيَّة مقبولة.

فعن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «ضَحَّىٰ خَالٌ لِي يُقَالُ لَهُ أَبُو

---

(١) «قول الشَّافِعِيَّةُ وَالْحَنَابِلَةُ، وَهُوَ أَرْجَحُ الْقَوْلَيْنِ عِنْدَ مَالِكٍ، وَإِحْدَىٰ رِوَايَتَيْنِ عَنْ أَبِي يُوسُفَ إِلَىٰ أَنَّ الأُضْحِيَّةَ سُنَّةٌ مُؤَكَّدَةٌ.
وَهَذَا قَوْل أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَبِلاَلٍ وَأَبِي مَسْعُودٍ الْبَدْرِيِّ وَسُوَيْدِ بْنِ غَفَلَةَ وَسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ وَعَطَاءٍ وَعَلْقَمَةَ وَالأَسْوَدِ وَإِسْحَاقَ وَأَبِي ثَوْرٍ وَابْنِ الْمُنْذِرِ»«الموسوعة الفقهية الكويتية» (٥/ ٧٦).

(٢) «ذَهَبَ أَبُو حَنِيفَةَ إِلَىٰ أَنَّهَا وَاجِبَةٌ.
وَهَذَا الْمَذْهَبُ هُوَ الْمَرْوِيُّ عَنْ مُحَمَّدٍ وَزُفَرَ وَإِحْدَىٰ الرِّوَايَتَيْنِ عَنْ أَبِي يُوسُفَ.
وَبِهِ قَال رَبِيعَةُ وَاللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ وَالأَوْزَاعِيُّ وَالثَّوْرِيُّ وَمَالِكٌ فِي أَحَدِ قَوْلَيْهِ»«المرجع السابق» (٥/ ٧٦).

بُرْدَةَ قَبْلَ الصَّلاَةِ»، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «شَاتُكَ شَاةُ لَحْمٍ»، ثُمَّ قَالَ ﷺ: «مَنْ ذَبَحَ قَبْلَ الصَّلاَةِ فَإِنَّمَا يَذْبَحُ لِنَفْسِهِ، وَمَنْ ذَبَحَ بَعْدَ الصَّلاَةِ فَقَدْ تَمَّ نُسُكُهُ وَأَصَابَ سُنَّةَ المُسْلِمِينَ»(١).

وتأمَّل -رعاك الله- في تسمية النَّبِيّ ﷺ في هذا الحديث للأضحية بأنها نسك وأنها سنة المسلمين؛ فينبغي علىٰ المسلم القادر المستطيع أَنْ يحرص علىٰ هذا النُسُك العظيم وعلىٰ هذه السُنَّة المباركة الَّتِي هي مِنْ سنن المسلمين بوصف النَّبِي ﷺ لها بذلك.

أيها المؤمنون عباد الله: والأضحية لا تكون إِلَّا مِنْ بهيمة الأنعام، قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ [سُورَةُ الحَجِّ: ٣٤]، وبهيمة الأنعام هي: الإبل والبقر والغنم معزها وضأنها، والأفضل أن تكون بدنة ويليها البقر ثم الغنم.

ويصح -عباد الله- أن يشترك سبعةٌ في بَدَنَة أضحية لكل واحد منهم، عن كل واحد منهم وعن أهل بيته، وكذلك اشتراك

(١) رواه البخاري (٥٥٥٦)، ومسلم (١٩٦١).

سبعة في بقرة[١].

عباد الله: وينبغي للمُضَحِّي أَنْ يَتَخيَّر أضحيته وأن يحرص علىٰ طِيبها وحُسنها وسِمَنها وإن تمكن أيضـًا مع قدرة مالية من غلاء ثمنها، وأَنْ يَتَقَرَّب إلىٰ الله بها طيِّبةً بها نفسه منشرحـًا صدره طالبـًا ثواب ربه جَلَّ وَعَلَا؛ فإنّها قربة من عظيم القرب، ويكفي -عباد الله- ما تقدم من قرنها في موضعين من كتاب الله بالصلاة، ولهذا قال العُلَمَاء إِنَّها أجلُّ العبادات المالية كما أن الصلاة أجلُّ العبادات البدنية[٢].

عباد الله: وينبغي للمضحي أن يحترز من المعيبة التي فيها عيب لا تجزئ به الأضحية وهو ما بيَّنه النبي ﷺ فيما صح وثبت عنه في السنن من حديث البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**لَا يَجُوزُ مِنَ الضَّحَايَا: الْعَوْرَاءُ الْبَيِّنُ عَوَرُهَا، وَالْعَرْجَاءُ الْبَيِّنُ عَرَجُهَا،**

(١) عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «**نَحَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَامَ الْحُدَيْبِيَةِ الْبَدَنَةَ عَنْ سَبْعَةٍ، وَالْبَقَرَةَ عَنْ سَبْعَةٍ**» رواه مسلم (١٣١٨).

وفي رواية: عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «**حَجَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَنَحَرْنَا الْبَعِيرَ عَنْ سَبْعَةٍ، وَالْبَقَرَةَ عَنْ سَبْعَةٍ**» رواه مسلم (١٣١٩).

(٢) هو قول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ كما تقدم قريبا.

وَالْمَرِيضَةُ الْبَيِّنُ مَرَضُهَا، وَالْعَجْفَاءُ الَّتِي لَا تُنْقِي»[١].

وليست العيوب -عباد الله - محصورة في هذه الأربع بل ما كان مثلها أو أشد منها فإنه عيبٌ يمنع في الإجزاء للأضحية.

أيها المؤمنون عباد الله: إنَّهَا فرصة ثمينة للتَّقرُّب إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ بهذه القُرْبَة العَظِيمَة والطَّاعَة الجَلِيلة؛ يُضَحِّي بها الرجل عنه وعن أهل بيته متقربـًا إلىٰ الله طالبـًا رضاه قائمـًا بهذا النُّسُك العظيم مُحَقِّقـًا هذه الشعيرة الجليلة والسنة العظيمة من سنن المسلمين.

وإنا لنسأل الله جَلَّوَعَلَا أَنْ يعيننا وإياكم علىٰ طاعته والتقرب إليه بما يحب في هذه العشر المباركة وفي أوقاتنا كلها، ونسأله جَلَّوَعَلَا أن يعيننا وإياكم علىٰ ذكره وشكره وحسن عبادته.

وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

---

(١) رواه أبو داود (٢٨٠٢)، و الترمذي (١٤٩٧)، والنسائي (٤٣٧٤)، وابن ماجة (٣١٤٤)، وصححه الألباني في «الإرواء» (١١٤٨).

الْحُجَّاجُ وَالْعُمَّارُ
وَفْدُ اللهِ تَعَالَى

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إنَّ الحمد لله؛ نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يُضلِل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، وأمينه علىٰ وحيه، ومبلِّغ الناس شرعه، ما ترك خيرًا إلا دل الأمة عليه، ولا شرًا إلا حذَّرها منه؛ فصلوات الله وسلامه عليه وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

أمَّا بعد:

أيها المؤمنون عباد الله: اتقوا الله تعالىٰ؛ وراقبوه سبحانه في السر والعلانية، والغيب والشهادة مراقبة من يعلمُ أنَّ ربَّه يسمعُه ويراه.

واعلموا رعاكم الله أن تقوىٰ الله عَزَّوَجَلَّ خير الوصايا وأعظمها وأجلُّ المقاصد وأكبرها، وهي وصية الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ للأولين

والآخرين من خلقه، وهي وصية النبي ﷺ لأمَّته، وهي وصية السلف الصالح فيما بينهم.

جعلنا الله أجمعين من عباده المتقين وأوليائه المقربين.

أيها المؤمنون عباد الله: يقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ ﴾ [سُورَةُ الحَجِّ: ٢٧-٢٨][1].

---

(١) قال العلامة عبد الرحمن السعدي رحمه الله في «تفسيره» (ص٥٣٦):

«﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ ﴾ أي: أعلمهم به، وادعهم إليه، وبلغ دانيهم وقاصيهم، فرضه وفضيلته، فإنك إذا دعوتهم، أتوك حجاجا وعمارا، رجالا أي: مشاة علىٰ أرجلهم من الشوق.

﴿ وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ ﴾ أي: ناقة ضامر، تقطع المهامه والمفاوز، وتواصل السير، حتىٰ تأتي إلىٰ أشرف الأماكن.

﴿مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ أي: من كل بلد بعيد، وقد فعل الخليل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ثم من بعده ابنه محمد ﷺ، فدعيا الناس إلىٰ حج هذا البيت، وأبديا في ذلك وأعادا، وقد حصل ما وعد الله به، أتاه الناس رجالا وركبانا من مشارق الأرض ومغاربها، ثم ذكر فوائد زيارة بيت الله الحرام، مرغبا فيه فقال: ﴿ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ ﴾ أي: لينالوا ببيت الله منافع دينية، من العبادات الفاضلة، والعبادات التي لا تكون إلا فيه، ومنافع دنيوية، من التكسب، وحصول الأرباح الدنيوية، وكل هذا أمر مشاهد كل يعرفه».

وللعلامة محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلام نافع في تفسير هذه الآية:«أضواء البيان» (٤/ ٢٩٨).

هذا نداءٌ أمر الله عَزَّوَجَلَّ به خليله إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فقام بذلك أتم قيام، وتبِعه في ذلك ابنه محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ فدعيا إلىٰ الحج وأبديا في ذلك وأعادا، فتحقق موعود الله جل في علاه؛ فتوافد الناس من كل فج وصوب ومن أقاصي الدنيا وأقاربها لأداء هذه الطاعة العظيمة وتلبية هذا النداء الكريم، وكلهم شعاره: «**لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ**»؛ أي إننا يا الله مستجيبين لندائك ممتثلين أمرك متلقينه بالاستجابة والتلبية[1].

عباد الله: وهاهم حجاج بيت الله يتوافدون في هذه الأيام المباركة إلىٰ هذه البقاع الطاهرة المباركة لأداء هذه الطاعة العظيمة والعبادة الجليلة حج بيت الله الحرام.

فيا معاشر المؤمنين لنعرف لهؤلاء الحجيج قدرهم، ولنرع لهم مكانتهم، ولندرك -يا معاشر المؤمنين- أن وفد الحجيج خير وفدٍ وأشرفه، وأحسنه وأطيبه؛ كيف لا! وهم وفد الله جل في علاه.

---

(١) **فائدة**: قال شيخنا عبد المحسن بن حمد العباد البدر حفظه الله: «وقد اشتملت تلبية رسول الله ﷺ علىٰ إثبات التوحيد والبراءة من الشرك، وهو مقتضىٰ كلمة الإخلاص (لا إله إلا الله)؛ فإن قوله: (لبيك اللهم لبيك) بمعنىٰ (إلا الله)، وقوله: (لا شريك لك) بمعنىٰ (لا إله)» «تبصير الناسك بأحكام المناسك» (ص٩٠).

روىٰ ابن ماجه في «سننه» من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**الْحُجَّاجُ وَالْعُمَّارُ وَفْدُ اللهِ إِنْ دَعَوْهُ أَجَابَهُمْ، وَإِنِ اسْتَغْفَرُوهُ غَفَرَ لَهُمْ**»(١).

وتأمل هذا الشرف العظيم الذي تبوأه حجاج بيت الله؛ أن أضافهم النبي ﷺ في هذا الحديث إلىٰ الله قال: «**وَفْدُ اللهِ**»، وهذه الإضافة يا معاشر المؤمنين تقتضي تشريف قدرهم وتعلية مكانتهم وبيان ما لهم علىٰ العباد ولاسيما أهل الحرمين من حقوق عظيمة وواجبات جسيمة، فهم -يا عباد الله- وفدٌ ليسو كأي وفد، وزوارٌ ليسو كأي زوار، بل هم أشرف وفد وخير زوار.

فينبغي علىٰ كل مسلم ولاسيما أهل هذه البلاد أن يرعوا لهؤلاء الحجيج قدرهم، وأن يعرفوا لهذا الوفد مكانته، وأن يعملوا علىٰ استيفاء ما لهم من حقوق وواجبات، بل وما لهم من مستحباتٍ من أبواب الإحسان وصنوف أبواب البر وهي واسعة كثيرة.

أيها المؤمنون عباد الله: وحقوق هؤلاء الحجاج علىٰ أهل هذه البلاد حقوق عظيمة يجب علىٰ كل مسلم أن يعمل علىٰ

(١) رواه ابن ماجه (٢٨٩٢)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (١١٠٩).

تحقيقها والقيام بها.

ومن أعظم ذلكم عباد الله: أن نستشعر مكانة هؤلاء الحجاج وعليَّ منزلتهم، فهم قد تركوا أوطانهم وتجشموا الصعاب وتحمَّلوا الأتعاب وتغربوا عن البلاد ميمِّمين بيت الله، طالبين رحمته جل في علاه، راجين رضوانه وغفرانه سبحانه، منفقين في ذلك الأموال الكثيرة، ومتحملين في ذلك الأتعاب العديدة؛ فحقهم علينا يا معاشر المؤمنين أن نعرف لهم قدرهم ولاسيما أن كثيرًا منهم من كبار السن مع كبر القدر الذي هم عليه، وقد قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيُوَقِّرْ كَبِيرَنَا»[١]، وكيف إذا كان اجتمع لهذا الكبير وقار الكبر ووقار الطاعة العظيمة التي جاء لأجلها والمقصد الجليل الذي أتىٰ للقيام به[٢].

وإذا تأملت أيها المسلم رعاك الله في هذا المقام ما اكتنف الحاج من أنواع الشرف شرف الزمان وشرف المكان وشرف

(١) رواه ابو داود (٤٩٤٣)، والترمذي (١٩١٩) واللفظ له، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٤٤٥).

(٢) ولشيخنا عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظه الله رسالة نافعة بعنوان:«حقوق كبار السن في الإسلام» ففيها زيادة فائدة.

الحال أدركت عظم المسؤولية وكبر الواجب.

أما شرف المكان: فإن الحاج قد وصل إلىٰ أشرف بقعتين وأطهر مكانين علىٰ وجه الأرض[١].

وأما شرف الزمان: فإننا نعيش في هذه الأيام أشرف الأيام وأفضلها علىٰ الإطلاق.

وأما شرف الحال: فإن الحاج جاء متلبسًا بطاعة عظيمة وقربة جليلة وهي حج بيت الله والاعتمار[٢].

وإذا تأملت في هذا الشرف تلو الشرف الذي يكتنف هذا الحاج أدركتَ رعاك الله عظم المسؤولية وكبر الواجب، وإذا كانت من حقوق المسلمين عمومًا إلقاء السلام، وبذل الكلام الطيب، والملاقاة بالبشاشة والإحسان، والملاطفة والرفق والإحسان، إذا

(١) مكة المكرمة، والمدينة النبوية.

(٢) قال لشيخنا عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظه الله: «الواجب عليك أخي الحاج أن تحمد الله كثيرا علىٰ نعمته عليك العظيمة، بالتوفيق لأداء هذه الطاعة، والقدوم لتحقيق هذه العبادة، والتشرف برؤية بيت الله العتيق قبلة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها..» «دروس عقدية مستفادة من الحج» ضمن «الجامع للبحوث والرسائل» (ص٢٤١).

كانت هذه حقوقًا مطلوبةً مع كل مسلم فإنها في حق الحاج أعظم وتجاهه ألزم.

أيها المؤمنون عباد الله: وينبغي أن يدرَك في هذا المقام أن الإساءة إلىٰ الحاج أو ظلمه أو الاعتداء عليه في نفسه أو ماله أو عرضه أو شيء من حقوقه ليس كالاعتداء علىٰ أي شخص آخر؛ لشرف حاله وعظم مكانته وأنه من وفد الله جل في علاه الذين أوجب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ علىٰ العباد رعاية حقهم ومعرفة قدرهم.

أيها المؤمنون عباد الله: بل أمر ينبغي أن يراعىٰ وهو من جلائل القُرب وأعظم الطاعات في هذه الأيام المباركات؛ أن يعمل كلٌ منَّا علىٰ الإحسان لهؤلاء الحجاج، وهذا قدرٌ زائد علىٰ الحقوق الواجبة، أن يعمل قدر استطاعته بأن يحسن إلىٰ هؤلاء الحجاج بأنواع الإحسان المتاحة له، يبذل ذلك لهم متقربًا إلىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وطالبًا لرضاه جل في علاه، فإن الإحسان إليهم من أجل القرب وأعظم الطاعات في هذه الأيام المباركات.

أيها المؤمنون عباد الله: ومن عظيم المهمات في هذا المقام أن تكون القلوب تجاه هؤلاء الحجاج سليمةً عامرة بالمحبة

محبة الخير لهم، وإذا كان النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يقول في عموم المؤمنين: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»[١].

فكيف الشأن مع هؤلاء الحجاج الكرام؟!

أسأل الله جل في علاه بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العليا أن يعْظم لهؤلاء الحجاج أجرهم، وأن ييسِّر لهم أمرهم، وأن يتقبل طاعتهم، وأن يرزقهم الرضوان والقبول، وأن يعيدهم إلىٰ ديارهم وقد غُفرت ذنوبهم وتحققت مقاصدهم من نيل رضوان الله والفوز بجنته جل في علاه، وأن يعيننا يا معاشر المؤمنين علىٰ القيام بما لهم من حقوق وواجبات ونصح وإحسان فإنه تبارك وتعالىٰ نعم المعين لا شريك له.

أيها المؤمنون عباد الله: وإنَّ من واجب القول وحسَنه في هذا المقام أن نشير إلىٰ ما تقوم به هذه الدولة المباركة من أعمالٍ عظيمة وجهودٍ جليلة وخدماتٍ متتالية رعايةً لحجاج بيت الله الحرام وعملًا علىٰ تحقيقهم لعبادتهم بيُسرٍ وأمنٍ وسهولة، وتعُدُّ هذه الدولة المباركة هذا العمل الجليل في أولىٰ أولوياتها

(١) رواه البخاري(١٣)، ومسلم (٤٥).

وفي مقدمة اهتماماتها رعايةً لحجاج بيت الله الحرام وخدمةً للحرمين الشريفين؛ فأسأل الله جل في علاه أن يزيد ولاة أمرنا توفيقًا وإحسانا ونصحًا وبذلا ورعايةً وخدمة للحرمين ولحجاج بيت الله الحرام، وأن يعينهم علىٰ ما تحمَّلوه من مسؤولية جسيمة وواجب عظيم إنه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ سميعٌ قريبٌ مجيب[١].

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

تم بحمد الله

(١) قال العلامة عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فمرحبا بكم في بلد الله الحرام، وعلىٰ أرض المملكة العربية السعودية التي شرفها الله تعالىٰ بخدمة الحجاج والعمار والزوار الذين يفدون إليها من كل مكان، ومن عليها بخدمة المقدسات وتأمينها للطائفين والعاكفين والركع السجود.
وأسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يكتب لكم حج بيته وزيارة مسجد رسوله صلىٰ الله عليه وآله وصحبه وسلم، في أمن وإيمان وسكينة واطمئنان، ويسر وقبول، وأن تعودوا إلىٰ دياركم سالمين مأجورين وقد غفر الله لكم وآتاكم من فضله إنه جواد كريم، وبالإجابة جدير» «مجموع فتاويه» (١٦/ ٢٢٨).

فِهرِس

مُقَدِّمَة ٥

وصايا للشباب ٧

رسالة مقترحة مِنْ أَبٍ لابْنِه فِي الحَثِّ عَلَى الصلاة ١٩

فضل شهر رمضان ٣١

رمضان شهر الصّبر ٤١

مِنْ صِفَاتِ الزَّوْجَةِ الصَّالِحَة ٥٠

فَضْلُ عشر ذي الحجة وأحكام الأضحية ٦٦

الْحُجَّاجُ وَالْعُمَّارُ وَفْدُ اللهِ تَعَالَى ٧٦

فِهرِس ٨٧

تم الصف والإخراج الفني لدى

loucyefdesign

+213559332713

أنت في المكان الصَّح

صدر للمؤلف

ISBN 978-9931-616-84-9